حسنين كروم

عبد الناصر المفترى عليه

- حتمية نقد عبد الناصر
- ثائر مع الاقطاع واشتراكى مع الرأسمالية
- صالح جودت .. رجل لكل العصور
- توفيق الحكيم .. القسيس والتائب
- التفسير الملكى للتاريخ
- تحيا أمريكا ويسقط عبد الناصر
- ديمقراطية "اليمين المزيفة"

الناشر
مكتبة مدبولى

عبد الناصر
المفترى عليه

الغــلاف بريشـــة الفنان جمال كامل

عبد الناصر المفترى عليه

تأليف : حسنين كروم

الطبعة الأولى

يوليو ١٩٧٥

الناشر : مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
تليفون ٧٥٤٣١

تقـــــديم

كلمـــة لابد منهـــا

كنت أود محاولة ارتداء ثياب العلماء المتعالين ، فأقول فى المقدمة أننى لا أهدف الى الدفاع عن عبد الناصر ، أو التحزب له ضـــد خصومه . أو كالقول ، بأننى لا أهدف الى تجريحه ، وانما هدفى هو التقييم الموضوعى لوجه الله والحق فقط .

.. ولكنى اكتشفت أننى سأكون منافقا ، ومخادعا ، وخاصة بالنسبة للقارىء . الذى سرعان ما يكتشف أن الـذى قال أننى لا اريد الدفاع عن ناصر ، هو من أكبر المدافعين عنه ، كما يكتشف أن الذى قال أننى لا أريد تجريحه ، هو من أكبر أعدائه ، وأن ما يكتبه تجريح وتشهير .. ويبدو أن هذه عادة لا يتميز بها الا الكتاب العرب وحدهم نتيجـــة ولعهم باللعب بالالفاظ والتحذلق وادعاء العلم والموضوعية . أو انها نتيجة للشـــكوك المريرة فى نفوس الناس من حقيقة وجدية ما يمكن أن يكتب . أو انها محاولة لاخفاء الأهـــداف الخاصة المتوخاة من عملية الدفاع أو الهجوم .

.. ومن الواضح أننا برعنا فى عملية اخفاء ميولنا السياسية، ومواقفنا الايديولوجية . والتعبير باللفظ والكلمة بما لايتطابق مـع حقيقة مانريد أن نقوله صراحة .. فمن طول المعاناة والكبت ، كنا نظهر شيئا ونخفى نقيضه .. وعلى الرغم من أن الامور بدأت تتضح الى حد ما ، وأصبح المناخ مهيئا الى أن يكشف الجميع أوراقهم فاننا لازلنا نعانى من هذه الظاهرة .

.. وعلى كل . فأننى فى مقدمة هذا الكتاب اقول بكل وضوح اننى ادافع بحماس شديد عن عبد الناصر ضد خصومه من اليمين

المصرى والعربى الذين لن يهدأ لهم بال ، ويستقر لهم حال الا اذا نبشوا قبره ومزقوا ما تبقى من جسده ، ان كان قد تبقى منه شىء ، لأن الحملة التى يشنها اليمين ليست موجهة ضده لذاته ، وانما لأنه حارب الرجعية المصرية والعربية ، وأعلن تبنيه لمصالح الفقراء ، وانحيازه أهم ·· اننى مع ناصر ضد بشوات مصر واقطاعييها ورأسمالييها ، والسماسرة وعملاء أمريكا في مصر وفى المنطقة العربية · لأنه كان · وسيظل اشرف وانظف وأطهر منهم جميعا · ولأننا لايمكن أن نبيع ناصر ارضاءا لأمريكا والرجعية ·

·· نعم · حين يتعلق الأمر ، بالاختيار بين ناصر وبين الرجعية ، ففى مسائل الصراع السياسى يجب اخفاء التناقضات التى توجد بين أطراف المعسكر الواحد ، لمواجهة المعسكر المعادى وهزيمته · وماحدث فى مصر كان معركة سياسية شنتها الرجعية ضد القوى التقدمية · وكان ناصر الرمز · كان الراية ، التى أراد اليمين انزالها وتمزيقها ليدوس عليها بالأقدام · وكان التقدميون يتحلقون حول هذه الراية يدافعون عنها باستماتة حتى لاتسقط فى الوحل تحت أقدام أنذل وأحط البشر بينما يقف الأمريكان والاسرائيليون ينتظرون رؤية الراية تسقط ·· وفى ظروف كهذه لايمكن لنا البحث عن أخطاء ناصر ، والتفرق عنه · وانما ظروف كهذه تتطلب الدفاع عنه أولا ونسيان كل شىء الى أن تتم هزيمة الهجوم الرجعى ، وبعدها يكون لكل حادث ، حديث ، ويمكن البحث عن الاخطاء ·· ومهاجمة ناصر بمرارة شديدة · بل والتبرأ منه ان أردنا أو أراد بعضنا ذلك · لأننا لايمكن أن ندافع عنه حبا فى سواد عيونه ، أو كعبادة للشخص · وانما ندافع عنه كرمز وكموقف ·· كرمز للتحولات الاشتراكية ومعاداة الاستعمار والتمسك بالكبرياء الوطنى والدعوة لوحدة مصر مع العالم العربى · وكموقف ضد الرجعية المصرية فى محاولتها طعنه لحساب أمريكا والرجعية ·· وبعد ذلك ·· فلسنا ملزمين بالدفاع عن ناصر ·

·· أن موقفنا هنا مستمد من الحكمة التى تقول :

« أنا وأخويا على أبن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب » ·

فأبناء العم هنا هم القوى التقدمية على اختلاف ميولها ومشاربها · وتستطيع أى قوتين أن تتحالفا ضد القوة الأخرى تطبيقا

للمثل . كان يتحالف الناصريون مع التقدميين الآخرين ضـــد الشيوعيين مثلا ، أو أن يتحالف الشيوعيين وغيرهم ضد الناصرين.. ولكن عليهم جميعا الأخوة وأبناء العم ، أن يتكتلوا ضد الغريب .. والغريب هنا هو الرجعية .

.. وعلى كل حال . فهذا التشبيه من البساطة والجمال بحيث لايشجع على الاستمرار أو التمادى فيه أكثر من ذلك .

.. وبما أنه قد تم انزال ضربة قوية بالهجوم الرجعى وكشفه واحباطه ، خاصة بعد أن اعلنت الغالبية الساحقة من الشـعب استنكارها للثورة المضادة ... فأن نقد عبد الناصر ونظـام حكمه تصبح مسألة ضرورية لأكثر من سبب .. مثل معرفة أخطاء التجربة

لازالتها ولدفعها نحو الامام . وتحقيق مكاسب أكبر لجماهير العمال والفلاحين .. وتعميق الخط الاشتراكي ولتكتسب طابعا ديمتراطيا ولأن هناك تطورات عديدة تتطلب اجراء تعديلات مستمرة تماشيا مع هذه التطورات . كأن تتأكد سيادة القانون ، وتترسـخ دولة المؤسسات لمقاومة حكم الفرد . واتاحة الفرصة للجميع لأن يتكلم كما يشاء ، حتى لهؤلاء الرجعيين الذين يجب ان نستميت جميعا فى تمكينهم من أن يقولوا آراءهم على أن يحترموا حق الآخرين فى أن يقولوا رأيهم . وبشرط أن يتخلوا عن اتجاهاتهم الفاشية..

انه لا يوجد خوف من نقد التجربة ولا من نقد ناصر نفســه ، لأن النقد يهدف الى تأكيد الايجابيات وازالة السلبيات . وعلينا أن نتحلى بالصبر وبممارسة النقد والنقد الذاتى . حتى لانحول الاخطاء الى حسنات . ليكون ذلك مبررا أمام الرجعية لتحول الحسنات الى أخطاء .

× قد يحس القارىء أكثر من مرة وهو يقرأ الكتاب ، أنه ملىء بالمـواقف المتناقضـــة ، فلقـــد يخيـــل اليـــه ، أننى أهاجم الجميع ، وفى نفس الوقت أحاول استرضاء الجميع .. فأنا ادافع عن ناصر باستماتة فى كثير من المواضع ثم اهاجمه أوانتقده فى مواضع أخرى . وأهاجم الرجعية وكتابها بعنف ، ثم لا أنس مغازلتها فى بعض الأحيان ، كالاعتراف بأن هذا الكاتب أو ذاك أصـاب فى هذه النقطة أو تلك . وقد يرى آخرون اننى ادافـع عـن الاخوان المسلمين . كما قد يرى غيرهم أننى أنافق الرئيس السادات ، كل ذلك حتى أنال رضاء الجميع واستحسانهم .

.. وما أقوله أنني بعيد تماما عن كل هذه الظنون .. فاذا كنت أدافع عن ناصر . فذلك لأنني انتمي لنفس التيـــار السياسى الذى عبر عنه وقاده ، ولهذا . فحـــين أنقده فـلأنه ـ من وجهة نظرى ـ لم يتخذ الاجراءات الكافية ليضمن لهذا التيار القـــوى التنظيمية التى يستطيع بواسطتها الحفاظ على مكاســـب الثورة وتطويرها وتعميقها ومقاتلة الرجعية بأدوات متفوقه ، ولأن اجراءاته هى التى سمحت بوجود عناصر سيئة فى حكمه مكنت لهذه الرجعية من البقاء عن طريق اخفاء اتجاهاتها الحقيقية ، فناصر قام بإجراءات اشتراكية وتحولات اجتماعية عظيمة ، ولكنه قام بتسليم الأشراف عليها الى بعض العناصر التافهة والانتهازية والبيروقراطية .. بحيث وصلت الامور الى حد أننا فى حاجة بعد هذه المدة الطويلة ـ من ٥٢ حتى الآن ـ الى وقف هجوم الرجعية الكاسح ، وبحيث اكتشفنا أن الكثير من العناصر التى تقود الثورة المضادة والتى تحاول تفتيت وبيع القطاع العام ، والغاء الاصلاح الزراعى ، هى نفسها العناصر التى كانت تدافع عن ناصر ، والتى مكن لها من البقاء . وهذا دليل على وجود خلل خطير فى نظامه يجعل من وجود الانتهازيين والعناصر المعادية قاعدة عامة ، وأما وجود العناصر الثـــورية المناضـــلة فى السلطة فهو الاستثناء .

.. أننا ننقد ناصر طالبين تطوير ثورة يوليو ليكون للقوى الشعبية السيطرة السياسية واليد العليا . وحتى يكون للثـــورة تنظيمها الثورى السياسى الذى يحافظ على انجازاتها .

× أيضا لا أريد أن أنافق الرئيس السادات . وانما نعترف بحقه فى الاجتهاد . ولأنه أحد قادة ثورة يوليو ، ولن يخـــونها أو ينحاز لأعدائها . وعلينا جميعا تأييده فى عملية اقامة نظام يستند على مؤسسات دستورية وسياســـية قوية .. وتأييده فى تثبيت سيادة القانون ، فلا أظن أن أحدا منا يحبذ العودة الى اسلوب القبض على الناس دون تهمة والقائهم فى السجون ، وتعذيبهم . أن علينـا ـ دون مكابرة ـ الاعتراف بســـلامة دعوة الرئيس لتطوير الثورة ولسيادة القانون ، ولاقامة دولة المؤسسات ، لأننا جميعا ، على اختلاف ميولنا ، وخاصة القوى التقدمية كانت تتمنى ذلك .. وبعد ذلك فلنختلف فى كثير من القضايا والمشـــاكل ، ولتتعدد وجهات النظر وتتعارض .

× وأنا لا أريد الدفاع عن الاخوان المسلمين · وانما استنكر التعذيب الوحشى الذى حاق بهم ، كبشر يجب أن تصان آدميتهم · ولا أريد تصويرهم في صورة الشهداء والوحيدين الذين دفعوا ثمنا لآرائهم · وفيما عدا التعذيب · فأنني اعتقد أن الاخوان المسلمين من أكبر المنظمات الارهابية التى يعتمد أفرادها على الخنجر والمسدس بدلا من الحوار · وأنهم تنظيم متخلف فكريا ، ومغرورون الى أبعد حد ، لأنهم يعتقدون أن ما يقولونه هو الحق وماعـدا ذلك باطل . ويعتقدون أنهم وكلاء الله على الارض ، والمسئولون عن تطبيق الدين ويبيحون لأنفسهم سلطة نزع الايمان عن خصومهم واباحة دمهم · وهم فى ذلك يرتكبون مخالفات دينية خطيرة ، لان الاسلام ليس فيه صكوك غفران ، ولا وكلاء الله . واننا لسنا فى حاجة اليهم ليعلموننا ديننا أو يجعلون من أنفسهم رقباء علينا ، ثم أن الله ليس فى حاجة اليهم ليجعلهم رقباء على عباده وليس فى حاجة الى شهاداتهم عن سير وسلوك المسلمين لأنه يعلم خبايا كل نفس ونيات الناس ·· والاخوان المسلمون لو قدر لهم أن يستولوا على السلطة ، لفرضوا حكمادمويا رهيبا ، ولاحتاجوا الى الآف السجون والمعتقلات ليزجوا بخصومهم فيها · ولأقاموا مجازر رهيبة · ولحكموا بالكفر على من يريدون · وبما أن الكافر يجب اعدامه . فأنهم سيعدمون آلافا من الخصـوم السياسيين ·· أننا مع ادراكنا العميق بأنهم ارهابيون وفاشيست ومتخلفين فكريا ويقفون مع الرجعية ، ويبيحون لانفسهم سلطات دينية تتنافى مع الاسلام ، فأننا نستنكر بشـدة مانزل بهم من تعذيب ·· ويجب اتاحة الفرصة لهم ليقولوا مايريدون فى جو من الأمان بشرط أن يلقوا بخناجرهم ومسدساتهم بعيدا عن سـاحات النقاش والمجادلة ·· ووقتها سيظهر للملأ حجمهم السياسى الحقيقى والضئيل · صحيح أن شعبنا متدين ، ولكنه يرفض أن يمنح الحق لأى جماعة لأن تزعم لنفسها التحدث باسم جماهير المسلمين ·· ولأن الاخوان المسلمين قبل الثورة كانوا قوة تافهة بجانب شعبية حزب الوفد ، ولم يكن حسن البنا شيئا ، بجانب شعبية مصطفى النحاس ولأنهم أيدوا فى بعض الفترات الملك ثم أيدوا الثورة فى تصـفية الاحزاب ، وخاصة حزب الوفـد ، فى حركة انتهازية منهم لوراثة الجميع ·· فأنهم لن يكونوا شيئاً بعد هذه التطورات السياسـية والتغيرات الطبقية العميقة التى أحدثتها الثـورة فى مصر ·· والتى تجعل المستقبل والغالبية مع القوى الاشتراكية ، ومن الواضح أن

التنظيمات الدينية في الجامعات يلجأ أفرادها الى استخدام المطاوى والسكاكين والهراوات في أي حوار · وهم أقلية رغم الامكانيات التى يمتلكونها · وسط أغلبية الطلاب التى تنحاز الى الاشتراكية ، ولكنها ترفض أن تقوم مجموعة من الرجعيين باستغلالها باسم الدين ·

× وكذلك لا اود الدفاع عن الشيوعيين · او عن فريق منهم فلست شيوعيا ، كما أنهم أقدر على الدفاع عن أنفسهم · وليسوا في حاجة الى خدماتنا ، ولأننا لسنا في حاجة الى رضاهم عنا ، لاننا وان كنا نرفض أن نحصل على صكوك غفران من أولئك الذين يزعمون أنهم يتحدثون باسم الدين ، فأننا نرفض بالمقابل أن نحصل على شهادات ميلاد وبطاقات اثبات شخصية بالاشتراكية من جانب الشيوعيين او أى فريق منهم ·· الا أننا نعتقد أن الحملة الموجهة ضد الشيوعيين وضد الشيوعية مسألة تثير الريبة والشكوك · لأن الذين يتزعمونها من العناصر الرجعية التى تدافع عن مصالح الرأسماليين والاقطاعيين ؛ ولأن الحملات ضد الشيوعية لم تكن موجهة أساسا ضد الشيوعيين ، وانما موجهة اساسا ضد كل القوى التقدمية ، وضد كل المطالبين بالعدالة الاجتماعية ، وبوضع حد للظلم الاجتماعى . واستئثار اقلية بثروات البلاد . بينما الغالبية تعانى من الحرمان · ولقد أثبتت الأحداث أنه ما من مرة حدثت فيها حملات منظمة ضد الشيوعيين الا وامتدت بسرعة مدهشة الى جميع القوى التقدمية · والى جميع الشرفاء فى كل موقع ، فأى رئيس مجلس ادارة مصنع أو شركة يستغل الفرصة ليتهم العمال المطالبين بحقوقهم بأنهم شيوعيون ·· وأى مسئول يستطيع تلفيق هذا الاتهام لخصومه · بل وحتى أولئك العملاء لأمريكا · والذين كانوا خدما للملكية يستغلون هذه الحملات لتصفية خصومهم ·· كما أن هذه الحملات دليل على عدم الايمان بأى حق ديمقراطى ، فكل أنسان بامكانه أن يكون شيوعيا أو اخوانيا أو ناصريا أو اشتراكيا مستقلا أو رجعيا · ويجب أن تتاح أمامه فرص التعبير عن آرائه · أما محاولة سلب الشيوعيين حقهم فى التعبير عن آرائهم ، بل واعتبار الشيوعية جريمة وعمالة . فهذا ما يقول به عملاء امريكا وحدهم . وهذا مايردده الرجعيون · وهى دعاوى وحجج لم تعد تنطلى على أحد فكلنا يذكر كيف ان الانجليز حينما كانوا يحتلون بلادنا حاولوا اقناعنا أنهم يدافعون عنا ضد الخطر السوفييتى · ولحمايتنا من احتلال شيوعى قادم !! وكانت الرجعية تردد أن الخطر الروسى يهددنا أما

الانجليز الذين يحتلون بلادنا فهم أناس طيبون يدافعون عنا حتى لانقع فريسة احتلال سوفييتي • وكانت هذه الحجة السخيفة والمبتذلة مبررا لأن يؤيد البعض دخول مصر في شبكة الاحلاف العسكرية الامريكية • واقامة قواعد عسكرية في أراضينا • وكان الانجليز يحاربون ضد أقامة أى تنظيم شيوعي في مصر • بينما يوجد في بلادهم حزب شيوعي علني وله صحيفة يومية • وتهمة العمالة التي تطلق على الشيوعيين ، هي تهمة ظالمة • لان العميل هو كل من يسلم أسرار البلاد الى دولة أجنبية معادية بهدف قلب نظام الحكم أو الاضرار بأمن البلاد وسلامتها •• وليس هناك عمالة في التفكير أو الأفكار • ولم نسمع أن الرأسماليين الفرنسيين او الايطاليين أو غيرهم في دول أوربا الغربية ، تجرأوا واتهموا الشيوعيين والاحزاب الشيوعية بالعمالة والتخريب واستيراد الافكار فهذه الاحزاب لها قوة ضخمة في البرلمانات وتسيطر على غالبية الحركات النقابية •

•• وعلى كل • فاذا كنا نرفض أن يكون التقرب من الشيوعيين هو جواز المرور للاشتراكية واذا كنا نرفض أن يزعم الشيوعيون لأنفسهم حق التحدث باسم الاشتراكية وتوزيع الصفات والنعوت ، لأنهم ليسوا وحدهم الاشتراكيين • كما أنهم أقل الاشتراكيين شعبية في بلادنا •

•• اذا كنا نرفض ذلك من الشيوعيين • فأننا نرفض التحدث عنهم بمثل ماتتحدث به نشرات مكاتب الاستعلامات الامريكية أو أن ننظر اليهم بعيون أمريكية ، ولا أن نقف منهم موقف الرأسماليين والاقطاعيين والسماسرة والوسطاء •

× كذلك من الضروري توضيح ، أنني أقصد بتعبير الناصريين القوى والعناصر التي تتمسك بثورة يوليو وانجازاتها • وأقصد بالثورة المضادة •• محاولة الرجعية تصفية القطاع العام والاصلاح الزراعي وكل الانجازات الاشتراكية • واقامة نظام رأسمالي بديل ، وربط البلاد بعجلة الاقتصاد الامريكي والأوربي •

حميدة نقد عبد الناصر

« أنا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون »

« صدق الله العظيم »

« لا محيص عن يوم خط بالقلم »

« الامام الحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ أثناء ذهابه للكوفة ومعرفته بالمصير الذى ينتظره »

لقد كان من الضرورى ان يأتى هـــذا اليوم .. طال الزمن أم قصر ، فعبد الناصر انســان • ولا بد أن يتعرض للنقــد والتقييم ، شأنه شأن أى فرد تبوأ مسئولية البلاد ولمدة طويلة •• دخل خلالها فى صراعات وتحالفات ، واكتسب عداوات وصداقات،وأرضى فريقا، واغضب فريقا . واصاب واخطأ ، واسرع وابطأ ، وظلم وانصف . ونجح وفشـل ، وانتصر وهزم ، ووعد وانجز ، ووعــد وأخلف . وأحب وكره •

حياة حافلة بالأحداث الجسيمة فى حياة مصر ، وأمتنا العربية، بل والعالم من حولنا ، ويصــح أن نقول عن ناصر أنه عاش حيــاته بالطول والعرض من الناحية السياسية ، وكان علما • وزعيما مؤثرا وذائع الصيت ، ولان ناصر كان زعيما تاريخيا ، فقد كانت شعبيته كاسحة ، ولانه حكم دون الاعتماد على تنظيم حزبى جماهيرى قوى • فقد اكتسب حكمه طابعا فــرديا بارزا ، وازداد دور أجهــزة الأمن وأجهزة الدولة البيروقراطية المعادية بطبيعتها لأى نوع ولأى شـكل من الديمقراطية • والمعادية ــ بحكم طبيعتها كذلك ــ للجماهير •• وهكذا كانت المعادلة غريبة ومتناقضــة • زعيم تاريخى شـــعبيته كاسـحة . وفى نفس الوقت يعتمد على اجهزة معادية للجماهير التى تحبه . زعيم جماهيرى وفى نفس الوقت يحكم بشكل فردى .

وبطبيعــة الحال ، فأن عملية نقــده أصــبحت من المحرمات ، بل ان حمايته من النقد والهمس صارت حرفة لبعض الاجهزة ولعدد من العناصر •

ولكن كان من الضرورى أن تطوله ســـهام النقد ، لعــــدة اعتبارات • منها • ان الله وحده هو الوحيد الذى لايجوز نقده ، أو نقض كلامه وأوامره أو التمرد على نواهيــه ، كلمته قانون • أزلى • وأبدى • ونحن ــ كمؤمنين به ــ ملزمون بطاعته طاعة عمياء •

ولأنه لايوجــد الا اله واحد ، فان أى شىء آخر فى الدنيا قابل

للنقد والتقييم ، فالله وحده هو الشيء المقدس .. وأما البشر فمهما عظمت مكانتهم . فان مايسرى على الناس يسرى عليهم .. وحتى الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى اختاره الله مندون الناس ليبلغ رسالته تعرض للنقد ، لأنه بشر ، ولانه يصيب ويخطيء .

فهل يمكن الا يتعرض عبد الناصر ، أو أى زعيم آخر ، الى النقد والتقييم ؟

ومنها كذلك ، ان أعمال عبد الناصر ، تتصل مباشرة بمصالح ملايين البشر وتمسها بالخير أو بالضر . ومن الضرورى أن يكون لهم رأى وموقف فيما يفعل . سواء معه او ضده ، له أو عليه .

.. ومنها أن البلاد ليست ملكا خاصا له أو لأى حاكم بحيث يتصرف فيها كما يحلو له . ولهذا فكل مواطن يجب أن يكون له رأى يقوله .

.. ومنها أن عبد الناصر ، لابد وأن يموت ، وبالتالى . فاذا كان متعذرا نقده فى حياته ، فالمجال سيكون فسيحا بعد مماته ، والظروف والاشخاص الذين كانوا يحولون دون التعرض له ، لن تظل ، او يظلوا للأبد كما هم قادرون على الاستمرار فى المنع .. لان الحياة متجددة ومتغيرة . ولان قانون الموت يسرى عليهم .

... لهذا كان من الواجب نقد وتقييم عبد الناصر ، ولهذا أيضا كان من الضرورى أن يتعرض عبد الناصر بعد مماته لما لم يتعرض له فى حياته .. واذا كان هناك من استبد بهم الغضب لان الرئيس السادات فضل أن يتيح فرصة النقد والتقييم ، واعتبروا ذلك عملا خاطئا ، فاننى أعتقد انهم هم المخطئون .. لان هذا الامر كان سيتم رضينا أم أبينا . واذا لم يتم اليوم فسيتم غدا ، واذا لم يحدث غدا ، فسيحدث بعد غد .. ثم ان عبد الناصر بشر ، وليس الها ، لايجوز نقده ، أو يعتبر نقده عملا من أعمال الكفر والزندقة ، أو ارتكاب الكبائر . بل ان عبد الناصر نفسه ، قد وجه النقد العلنى الى نظام حكمه فى مناسبات عديدة .. وجه نقدا ذاتيا علنيا ، بعد فشل تجربة الوحدة مع سوريا ووقوع الانفصال فى سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ بواسطة من كانوا أركان النظام . ووجه نقدا الى عمل الاتحاد الاشتراكى وطالب بتطويره . وأشار الى ظهور طبقة جديدة استفادت من الثورة . وأعلن عن مسئوليته عن الهزيمة وقدم استقالته . وأعلن

عن سقوط دولة المخابرات ٠٠ ثم وجه نقدا آخر بعد مظاهرات الطلاب والعمال التي أعلنت احتجاجها ضد الاحكام التي صدرت بحق القادة الذين تسببوا في الهزيمة ٠٠ وهكذا ٠٠٠ فاذا كان عبد الناصر نفسه قد وجه النقد العلني الى نظام حكمه في مناسبات عديدة ٠٠ فلماذا لانسمح للآخرين بممارسة النقد من وجهات نظرهم ، التي قد تتفق أو تختلف مع انتقادات ناصر لنظام حكمه ؟

٠٠ وعهد عبد الناصر لم يكن خيرا كله ، كما لم يكن شرا كله، وتعتبر كفة الخير أو الايجابيات هي الراجحة على كفة السلبيات . على الرغم من أن عددا من السلبيات قد يكون أثرها من النوع الذي يحجب كثيرا من الايجابيات ، والذي قد يجعل من الانتصارات المدوية التي أحرزها ناصر ، صورا مهزوزة او عديمة الجدوى ٠٠٠ مثال هزيمة ١٩٦٧ المخيفة والبشعة . فهذه سلبية شنيعة ، حجبت وتحجب كثيرا من الانتصارات والاعمال الايجابية ٠٠ ومثال ظهور الطبقة الجديدة التي تسرق جهد العمال والفلاحين ، فهذه سلبية تحجب الانتصارات العظيمة ضد الطبقات الرأسمالية والاقطاعية ٠٠وهكذا٠

٠٠ وهذا التداخل الكبير بين الايجابيات والسلبيات ، يؤدي الى خلق المصاعب أمام أي عملية نقد تتسم بالموضوعية ٠ فالمراحل والمعارك متصلة بوتيرة وايقاع سريع وعنيف مما أجبر ويجبر الجميع على أن يكونوا أطرافا في العملية التاريخية التي حدثت ولا زالت تحدث دون ان تتاح لهم أي فرصة لالتقاط الانفاس ، والقيام بعملية نقد وتقييم هادئة ، ثم تحديد الاساليب والطرق الاكثر ملاءمة ٠

.. اذ ماكاد عبد الناصر يعاجله الموت حتى بدات القوى على اختلاف ميولها تتحسس مواقعها . وحين بدات عملية النقد والتقييم، وجد الجميع أنفسهم مشتبكون في معارك مريرة ٠ كادت أن تتحول في بعض الاحيان ، من معارك كلامية ، الى معارك طبقية وسياسية، وهكذا نجد أن المرحلة التي نخوضها بعد وفاة ناصر ، استمرارا لما كان موجودا ابان حياته ٠ من تداخل الأحداث والمراحل والتطورات، بوتيرة وايقاع سريع وعنيف ٠ مما يزيد من صعوبة عملية النقد والتقييم فاليمين لم يلجأ الى النقد والتقييم الموضوعي من وجهة نظره، وانما قام بعملية تشويه تاريخية . ولم يكتف بممارسة النقد ، وانما يخطط للقيام بثورة مضادة ٠ ويتخذ النقد ستارا لتآمره وانحطاطه السياسي والاجتماعي ٠٠٠ انه يمين قذر ينتقد عبد الناصر لحساب

قوى استعمارية ـ أمريكا ـ انه ينتقد اجراءات عبد الناصر الاقتصادية ، لا لقصورها أو أخطائها • والعمل على تطويرها •وانما ينقد لحساب السماسرة واللصوص والتجار والملاك الكبار ولحساب وكلاء الشركات الاجنبية ، وهو ينتقد دكتاتورية ناصر • لا ليدعو الى حياة ديمقراطية حقيقية ، وانما لانه يريد ان يفرض ديكتاتوريته الفاشية ضد العمال وفقراء الفلاحين والمثقفين التقدميين لحساب كبار الملاك من الاقطاعيين والرأسماليين والباشوات السابقين • واليمين ينتقد سياسة عبد الناصر فى العالم العربى ، ولكن لحساب الرجعية، ولمحاولة عزل مصر عن العالم العربى وتشجيع التيار الاقليمى الانعزالى ••

•• باختصار • فان اليمين مارس عملية النقد والتقييم فى محاولة منه للقيام بثورة مضادة ،وتصفية القوى والانجازات التقدمية، ولحساب الرجعية والامبريالية الامريكية •• أى انه لم يقم بعملية نقد وتقييم ، وانما قام بهجوم سياسى وطبقى •

ولهذا فان القوى الاخرى المقابلة ، أى القوى التقدمية ، لم تقم بعملية نقد وتقييم • وانما خاضت معركة على كل الجبهات ضد الهجمة الرجعية الشرسة ، ولاحباط الثورة المضادة . وهذا ماجعل المعركة ،، استمرار للمعارك السابقة التى كان يخوضها عبد الناصر ضد اليمين المصرى •• واذا كان النقد والتقييم معطلا أيام ناصر ، سواء بالمنع الادارى ،أو لمعاركه ضد اليمين •• فانه ـ أى النقد والتقييم ـ ظل معطلين لمدة طويلة بعد موته ، لان ما حدث كان مؤامرة من اليمين للقيام بثورة مضادة ، وتصد من القوى التقدمية لاحباطها •• وهكذا تحول هجوم اليمين ضد ناصر الى مهاترات واكاذيب ، وتحول التقدميون الى المحافظة على انجازاته والدفاع عنها ، والتوقف عن أى محاولة للنقد والتقييم من وجهات نظرهم •

•• وقد أثار موقف القوى التقدمية عجب ودهشة أوساط يمينية كثيرة • وكانها لم تكن تتوقع حدوث مثل هذه الوحدة ، وهذا التضامن بين القوى التقدمية على اختلاف ميولها •• وقالت هذه الاوساط ، كيف يقوم الشيوعيون بالدفاع عن عبد الناصر ، وهو الذى حاربهم حربا شرسة ، ابتداءا من عام ١٩٥٩ ، حينما دب الصراع ضد عبد الكريم قاسم فى العراق • وسجنهم أكثر من خمس

سنوات ، وسلط عليهم ألوانا من العـــــذاب مما أدى الى وفاة عدد منهم ؟

٠٠ كذلك أبدت هذه الاوساط استغرابها الشـديد من قيـام كثير من العناصر التى كانت تنتقد ناصر فى حياته ، بالدفاع عنه بعد موته ٠٠ كما اتهموا العناصر الاخرى التى تصدت لهم بأنها تتاجـر باسم عبد الناصر ، وتتعيش من وراءه ٠ أو انها تخاف من عمليات فتح الملفات ٠٠ وأما الناس الذين لازالوا يحبون ناصر ، فهم مساكين، لانهم مضللين ٠

٠٠ وفى حقيقة الامر فان استغراب ودهشة اليمين لم يكن لها مايبررها على الاطلاق ، لانها دهشة مصطنعة ، أو كما يقول المثل الشعبى فى مثل هذه الحالات «بيستعبط» ، ٠٠ فاليمين يدرك تماما، ان نجاح مخططه فى القيام بثورة مضادة ، يعتمد على اثارة الانقسام بين صفوف القوى التقدمية ، والقيام بمعركة ضد كل قوة على حدة، وتحييد باقى القوى ، حتى اذا ماانتهى من تصفية قوة ، استدار الى الاخرى ٠٠ وهكذا ٠ الى أن يضعف كل القوى ويصفيها ٠ويستطيع في نهاية الامر «تمرير» خططه دون مقاومة جدية وواعية ٠٠ ولقـد كان العدو الرئيسى لليمين ٠ متجسدا فى الناصريين أساسا ٠ لان اليمين يعتبر أن المعركة الثارية بينه وبين ناصر ، ولهذا فهو يريد تصفية اليسار الغير شيوعى ، لانه القوة الاساسية والضخمة ٠وأما الشيوعيون ، فان تصفيتهم لن تستغرق الا ساعات ، وحتى ينفرد اليمين بالناصريين وحدهم ٠ فيجب أن يقوم بتحييد القوى التقدمية الاخرى ٠ وخاصة الشيوعيين والكثير من العناصر التقدمية الغـير شيوعية ، والغير ناصرية ، فالشيوعيين لهم انتقادات وتحفظات على تجربة عبد الناصر ، والعناصر التقدمية الاخرى لها انتقادات عـلى الشيوعيين والناصريين معا ٠ والناصريون بدورهم ٠ لهم انتقادات على الكل ، وبين الناصريين هناك من يتمسكون بحـرفية التجربة ، وهناك من يرون ضرورة تطويرها وتنقيتها من أخطائها ونواقصها ٠

٠٠ وحاول اليمين تصوير حربه ضد الناصريين بأنها لتصحيح الأخطاء ٠ وهذه اللعبة لم تكن خافية على كل القـوى التقدميـة ، فاليمين ، اذا تغذى بالناصريين ، فسوف يتعشى بالبـاقين ، وكان واضـحا أن الرجعية المصرية تقوم بتكتيل صفوفها للقيام بهجوم منظم وكاسح ضد كل القوى التقدمية وتصفيتها واستئصال شأفتها على

الرغم من الخلافات والتناقضات التي تسود معسكر اليمين ، فلأول مرة تتحالف بقايا الوفديين مع رجال أمريكا . كالاخـوة مصطفى وعلى أمين ، على الرغم من أن مصطفى وعلى أمين . كانا أدوات استخدمها الملك فاروق ، وأحزاب الأقلية المرتبطة بالقصر الملكي والانجليز ضد حزب الوفد ، وكذلك الاخوان المسلمون الذين لايحبون الوفديين ، ويكنون احتقارا شديدا لمصطفى وعلى أمين تناسوا كل ذلك ،واليمين المستنير شارك بدوره ، رغم اقتناعه بتخلف القوى اليمينيـة التى تشن الحملة .

ولم يكن ممكنا فى مثل هذه الظروف ، أن يتذكر التقدميون خلافاتهم وتناقضاتهم . وبادروا بتوحيد مواقفهم .

.. وهكذا دارت رحى معركة عنيفة وقاسية بين القوتين .. وكانت حدة الاستقطاب تتزايد فى المجتمـع وعلى جبهة الفـكر .. وسرعان ماانتقل الخلاف الى الشـارع . فكبار المـلاك والسـماسرة والرأسماليين وتجار الجملة . والذين امتـلأت كروشهم من سرقـة القطاع العام وقفوا وراء اليمين . وتحـددت مطالبهم فى تصـفية الاصلاح الزراعي والقطاع العام واعادة الرأسمالية وتحكمها والقضاء على المكاسب الاشتراكية .. كانوا يدافعـون عن مصالح الأغنيـاء والأقلية . وأما العمال وصغار الفـلاحين والطـلاب ، أى الغـالبية الساحقة . فقد وقفت وراء القوى التقدمية .. رافضـة لمحاولات اليمين تصفية المكاسب الاشتراكية والعودة الى حكم الأسر الرأسمالية والاقطاعية .. وتصاعد الصراع بين الطرفين .. وكان عبدالناصر، محور هذا الصراع . فاليمين يركز هجماته ضده فى محاولة لهدمه ليكون ذلك مدخلا لتصفية كل القوى التقدمية والانجازات الاشتراكية، والتقدميون يركزون جهودهم للدفاع عنه ..وهكذا صار ناصر رمزا لنضال مرير . كما اصبح محورا لمعـركة حاميـة الوطيـس . وقد نجحت القوى التقدمية فى انزال هزيمة قاسية باليمين ..كما نجحت فى تعريته وكشف أهدافه ، وكانت قمـة الهزيمة . هى الاحتفالات الشعبية المهيبة ، فى الذكرى الرابعـة لوفاة عبـد الناصر ، وكانت الاحتفالات رمزا للاتجاهات الحقيقية للجماهير المصرية ، التى ترفض اليمين وخططه .

.. ويبدو أن اليمين قد فقد صوابه ، فاخذ يكثف جهوده فى

حملة يائسة لاستعداء السلطة ضد القوى التقدمية ، وأخذ يفسر ماحدث وكأنه مؤامرة وتضليل . أى ان التقدميين نجحوا فى تضليل الجماهير !! وبلغ تراجع اليمين حدا مثيرا للسخرية الشديدة حينما بدأ - بواسطة بعض ابواقه - يقول انه اشتراكى ، ولم يكن يريد تصفية الانجازات الاشتراكية ، كما لم يكن يريد هدم ناصر وثورة يوليو !

.. واذا كانت الاحتفالات الشعبية فى الذكرى الرابعة لوفاة ناصر ، تعتبر قمة المعركة ، واندحار اليمين فى الجولة الاولى ، وتراجعه - بشكل مؤقت وتكتيكي - فانها كانت بداية لظهور الخلافات والتناقضات بين صفوف القوى التقدمية ، بعد هذا النصر الذى أحرزته .. وبدأت عمليات النقد والتقييم لنظام ناصر من قبل الشيوعيين ، وكانت المناسبة هى صدور حكم من محكمة جنوب القاهرة الابتدائية - الدائرة الرابعة ، بتاريخ ٧٤/١١/٢٨ فى قضية وفاة شهدى عطية الشافعى (١) بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٥ فى ليمان أبوزعبل تحت وطأة التعذيب . وصدر الحكم مستنكرا لعملية التعذيب ، وملزما وزير الداخلية (٢) ، وقتها بدفع تعويض «اثنى عشر الفا من الجنيهات» والمصروفات المدنية المناسبة . ومبلغ عشرين جنيها أتعابا للمحاماه . لزوجته وابنته .. وقام الشيوعيون بالاحتفاء بهذا الحكم (٣) والتعريف بشهدى عطية ، وتوجيه الانتقاد الى نظام ناصر .. بطريقة غير مباشرة، ومباشرة . وبعدها بدأت بعض الكتابات من جانب بعض الشيوعيين عن زملائهم الذين سقطوا تحت وطأة التعذيب فى السجون . ومن الضرورى توضيح مسألة على جانب كبير من الاهمية ، وهى ان الشيوعيين كانوا حريصين وهم يتباهون بضحاياهم أنهم يفعلون ذلك ليوضحوا أن اليمين كان عدوا للديمقراطية وكان جبانا وقت أن كانوا هم فى السجون . وانهم رغم ما نالهم لايكنون أى حقد ضد ناصر وضد التجربة . وانما يختلفون من موقع المحافظة على ايجابياتها والرغبة فى تطويرها .. ثم انهم كانوا حريصين كذلك على الاشادة بعبد الناصر .. والغريب فى الامر ، أن

---

(١) من قادة الشيوعيين ، وكان يحظى باحترام الكثيرين من غير الشيوعيين .

(٢) كان وقتها السيد / عبد العظيم فهمى (؟)

(٣) انظر مجلة الطليعة عدد فبراير شباط ١٩٧٥ .

اليمين الذى كان يطالب بالتحقيق في حوادث التعذيب تجاهل تماما هذا الحكم الهام فى قضية شهدى عطية ·· والوحيد الذى كتب ـهو جلال الدين الحمامصي في عموده بالاخبار ـ «دخان فى الهواء» ·

·· المهم ان أطراف المعسكر التقدمى ، بدأ عدد منهم فىممارسة النقد والتقييم وهم الشيوعيون . وكان قد سبقهم جناح ماركسى متطرف في الهجوم على ناصر من بداية الامر ، وكان يشارك مع اليمين فى الحملة · معتبرا ثورة يوليومؤامرة أمريكية · فهذا الفريق المتطرف كان يهاجم الشيوعيين كذلك ، على اعتبار انهم يؤيدون ناصر، ويعتبرهم تخلوا عن مواقفهم المبدأية ·· ويرى ان المهمة الاساسية هى هدم الناصرية · وتصفية ثورة يوليو ، بواسطة اليمين · وبعد أن يتمكن اليمين من تصفية الناصريين ، ومؤيديهم يكون منهكا وضعيفا ·· فتكون فرصتهم فى التقدم لتصفية اليمين !

·· وعلى كل فان هذا الفريق الماركسى المتطرف ، هو من التفاهة والسخافة بحيث استحق احتقار الشيوعيين قبل غيرهم · بل ان الشبهات كانت تحوم حوله · وحسب قول عدد من الشيوعيين · فان المخابرات الامريكية وغيرها من أجهزة الرجعية يمكن أن تستغل هذا الفريق ، او حتى تصنعه لخلق مؤامرات وهمية تكون ذريعة لتصفية الشيوعيين أنفسهم ، وغيرهم من التقدميين ·

وبالاضافة الى الشيوعيين · فان فريقا هاما من التقدميين لهم انتقادات كثيرة ··

وخلاصة الموقف ، أن الجميع متفقون على ضرورة القيام بعملية نقد موضوعى وتقييم وأن هناك اخطاء فادحة لايمكن مداراتها · كحوادث التعذيب ، ولان انكارها سيؤدى الى تقوية حجج اليمين وتدعيم حملته الباطلة ·

الا أن هناك فريقا قوى ولايستهان به، يرى عدم التوسع فى عملية النقد والتقييم ، حتى لاتكون ذريعة لليمين لمواصلة هجومه · وانها يجب ان تتم فى أضيق نطاق ممكن لان الظروف السياسية التى فرضها اليمين ، والمعركة الشرسة التى بداها تتطلب وحدة قوية بين مختلف القوى التقدمية ، حتى يتم انزال هزيمة كاملة بالرجعية والقضاء على أخطارها ، وبعدها يكون لكل حادث حديث · ويمكن ممارسة النقد بشكل واسع ، وقاس دون خوف من استغلال الرجعية له ··

كذلك يرى هذا الفريق ، بأن التوسع فى عملية النقد والتقييم ستؤدي بالضرورة الى اغضاب الجناح الملتزمت من الناصريين . مما قد يؤدي بدوره ، الى اضعاف التحالف القائم بين القوى التقدمية .

ان الذى نريد أن نقوله . هو . أن لا مفر من عملية النقد والتقييم لعبد الناصر ، ولنظامه ولاعماله . وهـذا ما سيمارسه الجميع . اليمينيون والشيوعيون واليسار غير الشيوعى ، والناصريون انفسهم . وهو أمر مطلوب وشرعى ، ومن حق أى انسان ممارسته بصرف النظر عن اتجاهه السياسى .

● ● ●

من أى زاوية يمكن لنا نقد عبد الناصر ، بحيث نزعم بأننا ابتغينا وجه الله والحقيقة وحدها دون أن نتأثر بعواطفنا وانتماءاتنا الطبقية أو الايديولوجية .

لاشك أن الزعم بالحيدة والموضوعية فى هذا الامر ، تعتبر عملا يتميز بالنفاق والكذب ، ومحاولة الظهور بمظهر العلماء المجردين من الاهواء .. لعدة اعتبارات . منها أننا جميعا تأثرنا بعبد الناصر ، حبا أو كرها ، استفدنا منه او لحق بنا الضرر .. أيدناه أو عارضناه ، أيده البعض ايمانا به ، وأيده آخرون نفاقا وخوفا منه ، والذين عارضوا . اما كانت معارضتهم لم تتخط صدورهم ومشاعرهم . واما تجسدت معارضتهم فى عمل عنيف . أى أن الجميع كانوا أطرافا فى الصراع لهم مصالح وأهواء . وبالتالى فان عمليات النقد لايمكن عزلها عن الغرض والهوى . فلسنا مؤرخين أجانب ، أو لسنا مستشرقين نعيش معزولين عن الاحداث فى ابراج عاجية ، نراقب ونسجل بهدوء .. فالذين ينتقدون عبد الناصر بمرارة وعنف ، هم الذين أصابهم الضرر . كالاقطاعيين وكبار الرأسماليين والسماسرة وتجارة الجملة وأصحاب العمارات . وهم يغلفون نقدهم تغليفا كاذبا حينما يزعمون أنهم يمارسون النقد الموضوعى . لانهم يهاجمون ناصر لانه نسف مصالحهم الطبقية . فهل يمكن أن يكون موضوعيا فى نقده من أممت له مصانعه او وزعت أراضيه على الفلاحين المعدمين ؟ وهل يمكن ان يكون موضوعيا الذين اتخذت ضدهم اجراءات أجبرتهم على رد ماحصلوا عليه كخلو رجل من السكان ؟ وهل يمكن أن يكون موضوعيا فى نقده أصحاب الفكر الرأسمالى الذين لايرون الخير الا مرتبطا بأمريكا ؟ ان هؤلاء وغيرهم يبغضون ناصر ويكرهونه

كراهية عمياء لانه أذلهم وسد أمامهم الطرق · لحساب فقراء المصريين من عمال وفلاحين · والذى ملأ الجامعات والجيش بأبناء هؤلاء الفقراء · بعد أن كانت وقفا على أبناء الاسر الموسرة والكريمة ·

وأما الذين استفادوا من عهد ناصر - من العمال والفلاحين · فانهم يؤيدونه ويقفون بجانبه ، ويعتبرون مافعله هو الصواب ، كذلك يقف بجانبه المستهلكون من ضحايا التجار والسوق السوداء وابتزاز الملاك ·

ـــ وأما هؤلاء الذين استفادوا بغير وجه حق · أى أولئك الذين استغلوا مناصبهم وصلاتهم في عهد ناصر · فى الاثراء والسرقة والرشوة · فانهم يعارضونه ويهاجمونه لانهم يريدون أن يتحولوا الآن ـ اعتمادا على مانهبوه ـ الى رأسماليين كبار · فاللص لا موقف له · الا بجانب كل من يسهل له السرقة ·

·· وهكذا فان من الصعوبة تجريد عملية النقد والتقييم عن الاتجاهات والاهواء الشخصية والانتماءات السياسية والطبقية ·

·· الاأن ذلك لايعني ان الباب أصبح مسدودا أمام النقد الموضوعى لان هناك أخطاء عامة وقعت لايمكن الدفاع عنها ، وهناك أخطاء كان من الممكن الا تقع · لولا الثغرات التى كانت موجودة ·· وهذه الاخطاء لايستطيع الذين يحبون ناصر أن ينكروها ·· وهذه هي الموضوعية فى النقد والتقييم التى نعنيها · وهي ضرورة ممارسة القوى التقدمية لنقد ناصر · لان النقد فى هذه الحالة سيكون بهدف تطوير التجربة وتخليصها من اخطائها ، وتدعيم الايجابيات حتى تتحقق فوائد أكبر وأعمق للفقراء والمعدمين ·· وأما نقد اليمين · فانه لن يكون موضوعيا بالمرة · وانما لصالح الرأسماليين والاقطاعيين السابقين وكبار الملاك وبهدف القضاء على ماتحقق من مكاسب للفقراء ·

●●●

ـــ لقد كان أهم خطأ فى تجربة عبد الناصر . هو عدم وجود حزب سياسى يعتمد عليه فى الحكم · وتسيير دفة الامور فى البلاد ، وقد أدى هذا الخطأ الى سلسلة أخطاء متوالية ، تولدت عنه ،أى انه كان الخطأ الرئيسى والاساسى · وفى حقيقة الأمر ، فان العذر الوحيد يتلخص فى أن الثورة انطلقت من الجيش ، وخطط لها ونفذها العسكريون · وكان ذلك ايذانا بالاعلان النهائى عن افلاس الاحزاب

التى كانت موجودة · وشهادة وفاتها ·· وقد دخلت الثورة فى عملية صراع ضد الاحزاب تمكنت فيها من تصـــفيتها ، كما شـــنت حملة ضارية ضد الحياة الحزبية ، وضد فكرة الاحزاب من الاساس،ولأن الثورة لم تكن حركة قام بها عدد من العسكريين المرتزقة لحساب جهات أجنبية . كما يحدث مع العسكريين فى أمريكا اللاتينية الذين تحركهم المخابرات الأمريكية .. وانما كانت ثورة تستهدف ادخال تعديلات جذرية في الحياة الاجتماعيةوالسياسية للبلاد ، فقد كان من الضرورى أن ترتبط بالجماهير التي تتوجه اليها · وهذا ماجعلها تعمد الى تكوين تنظيم سياسى ـ هيئة التحرير ـ ليكون الصلة بينها وبين الجماهير · ومن جهة أخرى ، ونظرا للاخطار الداخليـة والخارجيـــة التى كانت تتعرض لها الثورة · فانها بدأت فى تكوين جهـاز دولة قوى ومنظم تنظيما محكما لحماية امنها وامن البلاد . ولكن الذى حدث هو ، أن النظام كان جادا ومتحمسا جدا فى بناء اجهزة أمن قوية ، بينما افتقد **هذه الجدية وهذا الحماس فى بناء** تنظيم سـياسى · حتى أصـــبحت التنظيمات السياسية التى يبنيها النظام تدعو الى السخرية كما انها كانت مادة للتندر · فالمرة الاولى نرى دونه تصدر قرارات باقامــة تنظيمات سياسية ، ثم تصدر قرارات أخـــرى بحلها ، ثم قرارات جديدة بانشاء تنظيم آخر باسم جديد ·· وبعد مدة تصدر قرارات بحله ·· وأيضا قرارات جديدة بتكوين تنظيم جديد باسم جديد ·· ثم تصدر قرارات بتطويره وتعديله ··· وهكذا سار مسلسل هيئة التحرير ، ثم الاتحاد القومي فالاتحاد الاشتراكى · وفى حقيقة الامر فان أحدا لم يكن يعلق أية آمال على أى من هذه التنظيمات المضحكـة التى تقوم بقرارات من الدولة وتحل بقرارا تمنها ·· الا أن الغريب هو هذا التشبث من جانب النظام بضرورة وجود تنظيم سياسى · بل وفلسفة وتأصيل عملية تعدد الاسماء · كالقول بأنها تستند الى تقييم موضوعى فى الداخل · فهيئة التحرير قامت لتجميع المواطنين لمواجهة الاحتلال وتطبيق مبادىء الثورة الست · ولمـا خرج الانجليز لم يعد هناك داع لها · وانما اسـتلزم الامر تنظيم جـــديد لقيادة المرحلة الجديدة وهى بناء البلاد اقتصاديا ، وتحرير اقتصادها وأما الاتحـاد الاشتراكى فانه لمواجهة المرحلة الجديدة التى ظهرت فى أعقاب الانفصال بين سوريا ومصر فى سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ بقيادة الرجعيـــة السورية وشماتة الرجعية المصرية واسـتعدادها لعمل مشـابه فى مصر ·· أى أن الدولة كانت تنشىء تنظيمات للمناسبات !! وهـو

أمر لم يسبقها فيه أحد بحيث استحقت أن تنال شرف السبق فى هذا الاختراع العجيب .

.. لقد كانت النتيجة المنطقية هى زيادة القبضة البوليسية . وبالاضافة الى الطابع العسكرى للنظام . والنشأة العسكرية التى تنفر من العمل الشعبى . فقد كان هناك اصرار على ابعاد الجماهير كلية عن المشاركة فى العمل السياسى . وعدم السماح لها بأى دور . بل واستعمال القسوة المبالغ فيها لو أد أى ارهاصات تبشر بذلك .

.. وفى حقيقة الامر فان الجماهير التى تعلقت بناصر ، وأحبته بجنون ، أولته ثقتها المطلقة . واحست بغريزتها أن التنظيمات الموجودة ليست الا ستارا لاخفاء الطابع الفردى الذى اصبح سمه النظام .. وقد أدى هذا الامر الى سيادة ظاهرة البطل الاسطورى الملهم الذى ينوب عن الشعب فى كل أموره ، والقادر على فعل كل شىء .. ونتيجة لذلك فقد افتقدت البلاد اى مظهر من مظاهر الديمقراطية ، وهذه بدورها أدت الى نمو مراكز قوى وسيطرة عناصر وشخصيات هزيلة وتافهة على كثير من المراكز الحساسة . وكل مؤهلاتها الولاء المطلق للشخص ، وليس الايمان بموقف سياسى واجتماعى .. وقد سمحت هذه الظروف بتسرب أشخاص وعناصر معادية للثورة فى المناصب الحساسة . حتى كانت العناصر التى تعمل مع الملك مثلا . رأينا بعضها يعمل مع الثورة بحماس شديد . ورأينا اقطاعيين ورأسماليين على رأس مؤسسات ومصانع مؤممة .. وهكذا فقدت كل التنظيمات النقابية والمهنية والطلابية أى فعالية لها نظرا للارهاب البوليسى الذى كانت تمارسه أجهزة الامن .

.. لقدوجد عبد الناصر نفسه فىنهاية الأمر ،يدخل مرحلة تحول اشتراكى وصراع ضد الاقطاع والرأسمالية ، وضد الاستعمار الأمريكى الشرس .. وهو يعتمد على أجهزة قذرة معادية لأىنشاط سياسى جماهيرى . ومعادية للاشتراكية ، وموالية للراسمالية وتشعر بالحنين الشديد نحو أمريكا .

.. وهذا التناقض الفذ ادى الى ضعف النظام برغم قوة الزعيم ، فهو أدى الى تراكم الاخطاء وتكرارها . كما أنه جعله ضعيفا فى مواجهة اى محاولات انقلابية مباغتة وعاجزا عن مقاومتها ، لأن

الجماهير مبعدة ومشكوك فيها .وأصبح ناصر اسيرا لأجهزته المعادية له ولجماهيره .. وهكذا رأينا نظام ناصر ينهار بصورة مزرية فى سوريا بمجرد اسراع عدد من الدبابات باحتلال الاذاعة ومقر الاركان . وبواسطة رجال النظام المعتمدين فى سوريا ، بينما جماهير الشعب تقف حائرة لاتدرى ماذا تفعل ، ثم اذا تحركت ، فانها تتحرك بعفوية ودون تنظيم لتواجه الرصاص وتتفرق .. لقد منحت الجماهير عبد الناصر تأييدا اسطوريا . لم تمنحه لغيره من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولكن ناصر كان يترك الجماهير عارية من أى حماية ، بل ولم يمكنها من امتلاك الادوات التى تقاوم بها اعداءها ..

والمسألة التى تحتاج الى دراسة ـ ليس مجالها هنا ـ هى أن ناصر كان يتميز بوعى شديد لخطورة فقدان نظامه للتنظيم الحزبى ، ولخطورة تسرب العناصر المعادية له الى أجهزته ، بل وكان يحذر من ذلك .. ولكنه لم يفعل شيئا جديا لمقاومة هذا الأمر .. فمقاومة العناصر المعادية وتطهير النظام لاتتم الا بوجود تنظيم جماهيرى ونقل السلطة الى الجماهير ، وهو ماكان يقاومه بشدة . حتى بعد أن تعرض لنكسة الانفصال واستوعب دروسها . فانه أبقى على المشير عامر والعصابة العسكرية التى كانت تحيط به . حتى كانوا السبب الرئيسى فى هزيمة ١٩٦٧ ، ثم رأيناهم يتآمرون عليه للقيام بانقلاب عسكرى ضده بالاشتراك مع عناصر من المخابرات العامة .

.. وكان هذا الدرس ثانى الدروس المريرة التى يتلقاها ناصر عن خيانة معاونيه وتآمر أجهزته ضده .

.. ان هذا العداء للعمل السياسى المنظم ولدور الجماهير والاحزاب ، قد أصبح أحد أسس النظام بحيث أصبحت ملازمة له . ولقد أدى ذلك الى نتائج مؤلمة على النطاق المحلى .. ثم أدى الى نتائج مفجعة على النطاق العربى كذلك . فلقد رفض النظام أن يتعامل مع أى قوة سياسية عربية منظمة ، ومستقلة ، ويقيم معها علاقة الند للند ، بل عمد النظام الى محاولة تفتيت وتصفية الاحزاب العربية . كحزب البعث وحركة القوميين العرب . والى معاداتها بالاضافة الى المعارك مع الاحزاب الشيوعية العربية .. اننا لانريد أن نتطرق الى من المخطىء ومن المصيب فيما حدث . وانما نريد التنبيه الى رفض النظام أن يتعامل مع احزاب منظمة . ولقد أصر

ناصر على ضرورة أن يحل حزب البعث نفسه فى سوريا كشرط لقبول الوحدة . وقد وقع البعثيون فى خطأ مميت حينما قبلوا بحل حزبهم . فان ناصر لم يطالب بحل الحزب لتكوين تنظيم حزبى جديد ، أكثر قوة وفعالية ، وانما استبدل الحزب بتنظيم رجعي وانتهازي . هو الاتحاد القومي . وقد ادى ذلك الى تدهور العلاقات بين ناصر والبعثيين مما أدى الى نتائج مفجعة لكلا الطرفين استفادت منها الرجعية العربية . ورغم دروس الانفصال . فان النظام رفض التخلي عن مخططه لشق وتصفية الاحزاب العربية ، وكان البديل المطروح أمام الجماهير العربية ، هو القبول بشخصية الزعيم بديلا عن أى تنظيم سياسى . واذا كان ذلك يعتبر أمرا مقبولا الى حد ما فى مصر . نظرا لوجود ناصر فى الحكم . فان من غير المقبول بالمرة ارغام الجماهير الخاضعة لانظمة رجعية يحاربها ناصر نفسه بالقبول بأن تجرد نفسها من أحزابها وأدواتها التى تقاوم بها هذه الأنظمة الرجعية .. خاصة وأن النظام لم يتقدم ببديل حزبى . أى لم يكن للنظام حزب قومي يحل محل ماهو موجود من أحزاب .. وقد أدى ذلك الى اعتماد النظام على الاشخاص فى المنطقة العربية :

.. وكان من الضرورى أن يتعثر النظام ولا يحقق شيئا . بل ويسجل فشلا كبيرا . فهو لم يستطع أن يمنع البعثيين من الوصول الى الحكم فى سوريا والعراق . ولم يمنع تنظيم القوميين العرب من استلام السلطة فى اليمن الجنوبية بعد الاستقلال فى عام ١٩٦٨ . وكانت النتيجة أن الذين تعاونوا مع النظام فى المنطقة العربية وانشقوا عن احزابهم انتهوا ولم تعد لهم أية قيمة أو تأثير . وأصبح الناصريون لا حول لهم ولا قوة داخل البلدان التى يتواجدون بها .

لقد دفع النضال العربى ضد الرجعية ثمنا فادحا لهذا الصراع العبثى بين ناصر ، وبين الاحزاب القومية . ولو كان ناصر قد قبل التعاون مع البعثيين والقوميين العرب واعترف لهم بحقهم فى الوجود الحزبى المستقل ، وأنشأ لنفسه حزبا ثوريا . وأقام جبهة قومية تضم حزبه وحزب البعث وللقوميين العرب .. والشيوعيين وغيرهم من القوى التقدمية فى مختلف أرجاء العالم العربى .. لو كان ناصر فعل ذلك . فنحن نقول بدون تردد . لكان العالم العربى غير حاله الآن . كانت غالبية العالم العربى وخاصة المشرق ستنضوى تحت لواء دولة عربية قوية . ولتمت تصفية الرجعية ومناطق النفوذ

الاســـتعمارى · ولكان حالنا مع اسرائيل مختلفا تماما · ولكانت أحوالنا فى الداخل غير ما نحن عليه ··· الخ ··

·· اننا لانريد مناقشة أمنيات وافتراضات لم تحدث ، ولكننـا نؤكد من جديد · أن عدم اعتماد ناصر على حزب ثورى فى مصر هـو الذى أدى الى معظم الاخطاء · ومحاربته للاحزاب فى العالم العربى أدت الى اخطاء وكوارث فى العالم العربى ، اذن فالخطأ المحورى فى النظام الناصرى هو فقـدانه للنظام الحزبى ، وعـــدم ايمـانه بدور الجماهير وتنظيمها ، وسعيه لتعميم هذا المخطط فى العالم العربى ·

●●●

·· يقول المتحمسون لناصر ·· لقد كانت له أخطاءه · ولكنه كان ولسوف يظل عظيما ، وحيا فى وجدان الشعب على مر التاريخ ·

·· ونحن نوافق بلا تردد على هذا القول · فناصر سيظل علمـا فى تاريخ مصر وتاريخ أمته العربية · وأى محاولة غير موضوعية فى تقييمه ونقده ، ستكون كالسهام التى تتكسر فوق الصخرة · ولن تنال منه أبدا · وأما النقد والتقييم الموضـــوعى والمنصف ، فانه سيوضح أخطاءه فقط ، ويعطيه ماله وماعليه دون زيادة أو نقصان · وما لعبد الناصر أكبر بكثير جدا · مما عليه · وايجابيـــاته تفوق بمراحل سلبياته ·· وهو لم يكتسب هذه المكانة العظيمة التى كانت له فى حياته ، وفى مماته ، من الفراغ ، أو بفضل الدعايات لشخصه وانما اكتسبها بالانتصارات التى حققها · وبأعماله لخير بلاده وفقراء شـــــعبه ·

·· لقد قاد ناصر · بلاده مدة طـويلة ، شـــهدت فيها تحولات تاريخية ، ومراحل انتقال فاصلة وبارزة فى هذا التاريخ · وكانت هذه التحولات التاريخية تحت قيادته · ولهذا فســـتظل مرتبطـة باســـمه ·

● شهدت هذه الفترة جلاء الاحتلال الانجليزى عن البلاد بعـد ان ظل بها أكثر من سبعين عاما متواصلة · صحيح أن اتفاقية الجلاء كانت تحتوى على شروط سبق لحزب الوفد رفضها ، ولكن الاصح · أن الانجليز خرجوا واستقلت مصر تحت زعامة ناصر ·

● شبهدت فترة حكمه أول تحدى علنى لمحاولة استقطاب مصر

والمنطقة العربية تحت لواء الهيمنة الامريكية والاوروبية الغربيـــة عن طريق اقامة علاقات وجسور مع الاتحاد السوفييتي والكتلـــة الشيوعية حتى لاتصبح مصر أسيرة تعاملها مع جهة واحدة ٠

● شهدت هذه الفترة اقدام مصر على تاميم قنـاة الســويس وكانت أول دولة متخلفة تتحدى بنجاح الاحتكارات الدولية والاجنبية وتمارس سيادتها على مرافقها ٠ وتعرضت للعدوان ، ولكنها خرجت منه محتفظة باستقلالها وبسيطرتها على قناة السويس ، وكان ذلك ايذانا ببدء مرحلة اقرار حقوق الدول المتخلفة والصغيرة فى السيطرة على مواردها ٠ وانتهاء مرحلة التدخل الاســتعمارى المســلح لمنع ذلك ٠٠٠

● شهدت هذه الفترة ٠ قيام أول وحــدة عربيـــة في العصر الحديث بالاختيار الشــعبى الحر بين مصر وســـوريا ٠ وكان ذلك تصــعيدا للنضـــال العربى الهادف لتوحيد العالم العربى فى دولة عربية واحدة ، وانهاء التمزق والتشتت ٠٠ صحيح أن الوحدة قد فشلت . ولكن الأصح . أن المحاولات الوحدوية لم تتوقف . ولن تتوقف حتى ينجح جيل عربى فى تحقيق الحلم التاريخى فى اقامـة دولة عربية واحدة ، من المحيط الى الخليج ، ووضع حد لتمزق أمتنا الى دول ودويلات صغيرة ٠٠ وحتى تكون للأمة العربية وللشـــعب العربى الواحد ، دولة واحدة ٠

٠٠ من بعد فشل تجربة الوحدة استمرت المحاولات ٠٠ محاولـة اقامة وحدة ثلاثية تضم مصر وسوريا والعراق عام ١٩٦٣ ، بعــد الإطاحة بعبد الكريم قاسم في العراق ، وبالحكم الانفصالى فى سوريا وفشلت المحاولة ٠٠ ومحاولة اقامة وحــدة بين ســوريا والعراق فشلت بعد أن نجح عبد السلام عارف فى القيام بانقلاب عســكرى ضد البعثيين فى العراق عام ١٩٦٣ ٠٠ ومحاولة للاتحاد بين مصر والسودان وليبيا ، ثم محاولة أخرى فى عهد الســادات بين مصر وسوريا وليبيا عام ١٩٧١ لتكوين دولة اتحادية ، ومحاولة تكوين وحدة اندماجية بين مصر وليبيا فى عام ١٩٧٢ ، ثم محاولة وحــدة اقتصادية بين مصر والسودان ٠٠ ومحاولة اقامة وحدة بين ليبيــا وتونس فى يناير ١٩٧٤ ، ومحاولة لتكوين اتحاد يضم دول المغرب العربى ٠٠ الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا ـ تونس ـ ليبيا ٠٠ كل

هذه محاولات ٠٠ استمرت بعد فشل وحدة ١٩٥٨ ٠٠ بعضها فى عهد ناصر ، وبعضها الآخر فى عهد السادات ٠ وبعضها الثالث بين دول أخــــرى ٠٠ وكلها لم تحقق نجاحا ٠ ومـــع ذلك ٠ فستستمر المحاولات ٠لان أحدا فى الدنيا لن يستطيع أن يمنع شعبا ممزقا من السعى لتوحيد نفسه ٠

٠٠ وحين يذكر التاريخ ـ المحاولات التى ســــبقت تكوين دولة عربية واحدة من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى ، فسوف تكون وحدة عام ١٩٥٨ ٠ برئاسة ناصر ٠ نقطة التحول البارزة ٠ والخطوة الاولى فى الطريق الذى أوصل الى الوحدة الشاملة ٠

● وشهدت هذه الفترة تصفية نظام اجتماعى كامل ٠ كان يقوم على تحالف الرأسمالية والاقطاع ٠ واتاحة الفرصة للطبقات الفقيرة فى أن يتزايد دورها وحجمها فى الحياة العامة ٠

● وشهدت هذه الفترة تحول مصر الى الطريق الاشتراكى تحولا حاسما لا رجعة فيه وتأمين الطبقة العاملة فى حياتها ٠٠

٠٠ انها تحولات تاريخية بارزة سيظل التاريخ يذكرها وستذكرها الأجيال بفخر .. وستذكر القائد الذى فجر وقاد بلاده فى هــــــذه المراحل ٠

ـــ حدث ارهاب ؟ ٠٠ نعم ٠

ـــ حدثت هزيمة ومصاعب ؟ ٠٠ نعم ٠

● ولكن فى مقابل ذلك ٠ حدثت ايجابيات وتحولات هائلة ٠ والارهاب والمصاعب والديكتاتورية . كانت موجــودة ايام الحـــكم الملكى ، ولكن دون أن يقابلها أو يعوض عنها أى ايجابيات ٠

ـــ حدثت مظالم ؟ ٠٠ نعم ٠

● ولكن علينا أن نحدد بالدقة ماذا نعنيه بالمظالم ٠٠ فالاقطاعى الذى كان يملك آلاف الأفدنة . يعتبر ناصر ظالما وسفاحا لانه اخذها منه ووزعها على المعدمين ٠

والرأسمالى الذى أممت مصانعه يعتبر ناصر ظالما وكافرا ، لانه أخذ منه مصانعه • وكذلك الرأسماليين الذين أجبرهم ناصر على أن يدفعوا تأمينات اجتماعيـــة للعمال • وتحديد حدا أدنى للاجور • يعتبرونه ظالما •• ومخربا •

•• والذين كانوا يكســـبون ألوف الجنيهات ويصرفون الالوف وأصبحوا لايكسبون الا المئات يعتبرون ناصر خرب بيوتهم وأذلهم •

•• والذين كانوا يعيشون حياة باذخة ويصرفون على كلابهم •• أكثر من دخل أسرة متوسطة •• يعتبرون ناصر ظالما • لانه تسبب فى أن يعيشوا فى الشهر بمائتى جنيه ، أو مائة جنيه واضطربناتهم وزوجاتهم الى ممارسة الدعارة حتى يستمروا فى الحياة التى اعتادوا عليها قبل أن يهوى عليهم بسيف ظلمه ••

•• وهناك من يرون ان ناصر أفسد الحياة الاجتماعية وأضـــاع القيم والاخلاق •• حين فتح أبواب الجامعات لكل من هب ودب من أبناء الفقراء والمعدمين • وساواهم بأبناء الاسر الكريمة والمصونة ! وأصبحت الحياة لاتطاق حينما تسبب ناصر بأخطائه فى أن يتجرأ العمال على البكوات والرؤســـاء ويطالبون بحقوقهم • وان يتحدى الفلاحون أسيادهم فى الريف ، بعد أن كانوا عبيدا أذلاء عندهم • وبعد أن كانت زوجاتهم خادمات فى بيوتهم •

•• ناصر ظالم وكافر • ومدمر وشرير ونكبــــة لانه أذل أبنـاء الاصول • والبيوت الكريمة الشريفة الغنية ! وشجع عليهم أبنـاء الفقراء والجهلاء والعبيد ! وناصر كان حاقدا على الاغنياء لانه كـــان فقيرا ومن أسرة فقيرة ! ••

•• ومايعتبره هؤلاء ظلما يعتبره غيرهم عدلا ، بل يعتبرونه عدلا غير كامل . وكان يجب تحقيق المزيد . فالفلاح الذى أخذ فـدانين من أرض الاقطاعى اعتبر ذلك عـــدلا • والعامل الذى امتلك الآلة والمصنع ولم يعد عبدا للرأسمالى اعتبر ذلك عدلا • والذى حصـــل على التأمينات الاجتماعية اعتبر ذلك ضرورة وعدلا . والذى دخل الجامعة بالمجان وتساوى مع أبناء الاغنياء اعتبر ذلك عدلا • والساكن الذى استرد أمواله التى دفعها كخلو رجل لصاحب العمارة اللص • اعتبر ذلك عدلا ••

•• وهذا هو معنى قولنا فى البداية أن ناصر ظلم وأنصف ، ولهذا

فقد أصبح رجل الفقراء ·· وعدو الاغنيـــاء والامراء ·· لقد اختار ناصر أن يكون محامي الفقير وسلاحه ، لانه أدرك أنه لن يستطيع أن يكون مع الاثنين فى آن واحد ، مع الفقير والغنى ، مع الظالم والمظلوم مع المترف والمسحوق ، مع المستغل والمستغل مع الذئب والحمل ، مع الاقليـــة والاغلبية .

·· لقد كانت هناك صعوبة فى الجمع بين الاثنين · أو الولاء لهما ، الا اذا كان نصابا عظيما · ومنافقا محترفا · ولانه لم يكن نصـــابا ولا منافقا ، فقد اختار صفوف الاغلبية الفقيرة المسحوقة ضد الاقلية الغنية والمتغطرسة · ولهذا أحبه الفقراء · وكرهه الاغنياء ، وهذه أعظم شهادة له وأشرف وأفضل دليل على شرفه ومكانته ·· أن تحبه الغالبية الساحقة من شعبه وتكرهه الاقلية الجبانة والانتهازية التى لم تنس له أنه وهو مهزوم قد سدد لها ضربتين قويتين بعد ١٩٦٧ ، حينما خفض الحد الاعلى للملكية الزراعية الى خمسين فدانا للفـــرد ومائة للاسرة ، وحينمـــا أعلن عن مخططه لالغاء تجـــارة الجملة لمنع تلاعب التجار ومؤامراتهم ·

●●●

·· يقول المهاجمون لعبد الناصر ، انه فرض نفسه على الشعب بالحديد والنار ، والارهاب والرشوة · مستخدما الحكمة المأثورة : « ذهب المعز وسيفه » · وأنه اعتمد على جهاز اعلامى قوى كان يزين الاخطاء ويضلل الناس ، ويصور لهم الهزائم انتصارات ، والمصائب محاسن ، وحول ناصر الى صنم يعبد · وزعيم ملهم ·· ولهذا فقـــد حجبت الاكاذيب الحقائق ، وعاش الناس فى الاوهام والغشاوة فوق عيونهم ·· وبالتالى فان تأييد الشعب لناصر ، انما كـــان بســـبب الاكاذيب ولم يكن تأييدا مبنيا على اقتناع ·

·· ويقول المدافعون عن ناصر · أنه يكفيـــه خروج الجماهـــير بالملايين فى ٩ ، ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، حينما قدم استقالته وأعلن مسئوليته عن الهزيمة ·· ويكفيه أنه استقبل كالابطال أثناء مؤتمر القمة العربى الاول الذى عقـــد فى الخرطوم فى عام ١٩٦٧ ، ويكفى الوداع الدرامى الذىودعته به امته العربية حينما توفاه الله .

·· هـــل كانت الجماهـــير تحب ناصر وتؤيده خوفا من الارهاب والسجون ؟ ·

.. ان اليمين يعلن عن افلاسه الروحي حينما يردد هذا الكلام . لانه يدرك كذبه ، كما يدرك أن الجماهير أحبت ناصر عن اقتناع كامل ومنحته تأييدها المطلق .. ولم تصمت عن خوف منه .. لقد كان ناصر رجل الغالبية الساحقة كما قلنا ، وهذا ماجعل المقاومة التى يمكن أن يلقاها فى الداخل ضعيفة هزيلة . بل ومدانة ولا مستقبل لها . لانها تأتى أساسا من الطبقات المدحورة . كالاقطاعيين والرأسماليين والسماسرة وتجار البورصة وعملاء الاستعمار . وهؤلاء أقلية ضئيلة مكشوفة . ان عبد الناصر لم يصطدم أبدا بمصالح الغالبية ، وانما كان معبرا عنها . وبالتالى حائزا لرضاها. وليس لخوفها ، وكانت الجماهير تثق فيه ثقة شديدة . وتحبه بجنون ... صحيح أن هذه الثقة المفرطة والحب الشديد سمحا بوجود انحرافات . ولكن ناصر ، كان الابن المدلل للشعب ، وبالتالى فان أخطاءه لم تظهر بشكل كاف ، او لم تتوقف الجماهير عندها طويلا لمحاسبته عليها من فرط حبها وتدليلها له ... ولو كانت الجماهير تكرهه . فانها كانت ستقاومه . بل وكانت قد اسقطته برغم أجهزته البوليسية ، أو ارهابه ، ولم تمكنه من البقاء هذه المدة الطويلة فى الحكم .

لم تكن الجماهير مضللة ، لانه يستحيل تضليل شعب بأكمله حتى وان كان من الأميين الجهلاء . لقد حاول الملك فاروق بواسطة عملائه وواسطة بعض الصحفيين أمثال مصطفى وعلى أمين وصالح جودت . أن يصور نفسه فى صورة الحريص على مصالح الأمة . بل ونسب نفسه الى الرسول .. ومع ذلك . كانت عواطف الغالبية الساحقة مع حزب الوفد ، ومع النحاس باشا .. وعلى الرغم من حب الجماهير لناصر ، وعلى الرغم من الهجوم الشديد والتجريح القاسي والظالم الذى شنته صحافة الثورة ضد حزب الوفد وضد النحاس باشا . فان الجماهير خرجت تودع النحاس فى جنازته وداعا حارا رغم تضييق السلطات ورغم معرفتها أنها ـ أى السلطات ـ لاترتاح لذلك .

.. وبالنسبة لعبد الناصر ، فعلى الرغم من قسوة الأجهزة وجبروتها . ورغم الأهوال التى تعرض لها الاخوان المسلمين فى السجون فى عام ١٩٥٤ ، فانهم أعادوا تنظيم أنفسهم من جديد وبدأوا العمل ضد ناصر .. كما أن كثيرا من التنظيمات اليسارية

كشفت وأحبطت محـاولات انقلابية ٠٠٠ أى ان الارهاب لم يمنـــع المعارضين من المقاومة رغم انهم أقلية ٠

٠٠ بل ان المظاهرات العنيفة قد اندلعت ضد عبدالناصر وضد النظام فى فبراير (شباط) عام ١٩٦٨ ٠ بعد صدورالاحكام فىقضية المسئولين عن كارثة الطيران ٠ وقام بها العمال والطلاب وامتدت من الاسكندرية حتى أسوان ٠ وسقط فيها عشرات الضـحايا ، وكانت تعبيرا عن سخط الشعب على الاحكام الهزليـة التى صدرت ضـد المتسببين فى الهزيمة من العسـكر ٠ اذ أحس الناس أن هـذا أمر لايمكن احتماله ، كما لايمكن السكوت عليه ٠ وأن النظام يتحـدى مشاعرهم بشكل سافر ، وأنه يحابى العسكريين ٠٠ وهكذا انفجرت الجماهير فى موجة غضب ضخمة ، وعلى الرغم من لجوء البـوليس الى اطلاق الرصاص على المتظاهرين فى المنصورة والاسكندرية ،واستعمال النظام لقبضته الحديدية ٠فان ذلك لم يوقف المظاهرات ٠ وانمازادها٠ وعمت موجة السخط حتى شملت البلاد كلها ضد النظام :فاضطر عبد الناصر للتراجع بسرعة تحت هذا الضغط الجماهيرى وأمر باعادة المحاكمة ، وزادت سنوات السجن لقائد وضباط الطيران ٠ واعتذر ناصر علنا عما حدث ووعد باجراء تعديلات سريعة وجذرية ٠ ثم قام بالتقدم ببيان ٣٠ مارس (آذار) ١٩٦٨ ، وهو مالم ينفذ ٠

٠٠ خلاصة القول ٠٠ ان الـكذب والدجل لايحـول الأقزام الى عمالقة ٠ ولا العملاء الى وطنيين ، ولا الجبناء الى شجعان مناضلين ٠٠ ان الارهاب لايمنع أى شعب أو قوة من أن تقاوم النظام الموجود اذا أرادت مقاومته ٠٠ فعبـد الناصر لم تكن شـعبيته وليدة الحمـلات الاعلامية ، ولم يكن صمت الناس ورضاهم عنه نتيجة خوف ، وانما اقتناع كامل به ٠ ولم يؤد الارهاب الى القضاء على مقاومة بعض القوى له ٠٠ لقد اكتسب ناصر شعبيته عن جدارة ، ٠٠ ولعل أكبر الادلة على ذلك ٠ هو خروج الناس للاحتفال بذكراه الرابعة فى سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ بعد الحملات العاتية التى شنتها ضـــده الرجعية ٠ وكذلك تصدى الكثير من الكتاب والصحفيين للدفاع عنه وهو ميت ٠

فممن يخافون الآن ؟ ٠٠ ان ناصر لا يخيف أحدا لأنه تحول الى تراب وذكرى لايملك عصا ، ولا سجنا ٠

٠٠ وينافقون من الآن ؟ ٠٠ ان الدفاع عن ناصر ليس مهنـة مربحـــة ٠

•• الا اذا كان المدافعون عنه ينافقون الجماهير ، ويريدون الوصول الى قلبها عن طريق الدفاع عن بطلها • وحتى هذا دليل على حب الغالبية له ، ان الناس لايمكن ان تكره انسانا ثم تحبه بعد وفاته • ولايمكن أن تنافقه في حياته • ثم تنافقه في مماته • لان ذلك ضد قانون النفاق المحكم والازلى • الذى يتطلب منافقة من بيدهم الامر • وناصر مات وتحول الى رماد مثلما مات وتحول الى رماد بلايين البشر •

•• ومع ذلك •• فمن الضرورى رؤية مايقوله أبطال الحملة المعادية لعبد الناصر •

● ●

ثائر مع الإقطاع واشتراكى مع الرأسمالية

« يحكى هذا الكتاب قصة الذين نافقوا فنفقوا كما تنفق الحمير »

د. ابراهيم عبده فى كتابه رسائل من انغانســـــتان .

« اتعلمنا ديننا يا ابن اليهـــودية » ؟!

ـ أبو ذر الغفارى فى مناقشة مع أبى هريرة ـ

•• من أهم واخطر الكتب التى صدرت ضد عبد الناصر ،خلال

عام ١٩٧٤ ، كتابين كتبهما الدكتور ابراهيم عبده ، وهما «رسائل من نفاقستان» و «الوسواس الخناس» والكتابين عبارة عن رسائل ـ يرسلها المؤلف الى أحد أصدقائه أسماه «عزيزى تعيسان» ومذكرات اشبه بالتعليقات السريعة فى تواريخ محددة . وبث المؤلف آراءه فى عبد الناصر وفى الثورة،وفي النظام الذى يحبذه وينشده ،والكتابان مليئان بالشتائم والهجوم المقذع ضد عبد الناصر ، والذى خرج عن حدود المنطق والادب ، وسيطرت عليه الاحقاد الشخصية ، والغضب المجنون . و «نفاقستان» هي مصر ، وأما «الوسواس الخناس» فهو « ناصر » ، وقد لجأ المؤلف الى وضع رسم على غلاف «الوسـواس» يمثل شيطانا . له قرنان ، واظافر طويلة ويضحك ضحكة مرعبة ،

وله ذقن بشعة ، وتتوهج عيناه بنظرة مخيفة • فاذا أتيت بورقة وحجبت بها القرنين ، وحجبت الذقن بورقة أخرى ، فسوف تفاجيء بأن وجه «الشيطان» هو وجه «عبد الناصر» •• ولقد لاقى الكتابان رواجا كبير ، خاصة كتاب «نفاقستان» . واذا انتهى القارىء منهما . فانه لايحتاج الى ذكاء كبير حتى يدرك الاتجاه الحقيقى للمؤلف ، والاهداف التى يعمل لترويجها وخدمتها • فهو يهاجم دون استثناء الدول العربية ، التى اصطلحنا على تسميتها بالتقدمية ، فمصر «نفاقستان»والعراق «شقاقستان»وسوريا «توريطستان» . كماجاء فى كتابه الاول رسائل من « نفاقستان » ، وفى الكتاب الثانى «الوسواس الخناس» . هاجم اليمن الجنوبية ، وليبيا ، وهو فى نفس الوقت يشير للسعودية باسم«اسلاميستان» ولبنان باسم«وردستان» •• ومن الواضح أن المؤلف يتخذ موقفا عدائيا فى بداية الامر من الدول التى ترفع شعارالاشتراكية او تعمل لها •• وهذه هى الملاحظة الاولى • وأما الملاحظة الثانية • فهى أن الدكتور ابراهيم قد حدد موقفه من البداية بأنه ضد الثورة صراحة فى كل ماتخذته • فهو يقول فى ص ١٦ من كتاب «رسائل من نفاقستان» مخاطبا صديقه «تعيسيان» :ـ

« وأرجو أن تعى ماتنطوى عليه رسائلى ، فانى وان لم أرض عن كل ماصنعته هذه الثورة ، فأنا بطبعى من الثوار ، بل أنا ثائر قبل ان يولد معظم هؤلاء الثوار » .

ثائر مع الاقطاع

.. واضح من بداية الامر أن المؤلف يعادى الثورة ، ولايرضى عن كل ماصنعته ، وهذا الاقرار ، او هذه «الزلة» منه لاتجعله حكما موضوعيا نزيها ، ولا تنفى عنه صفة التحيز المعادى لعبد الناصر، وليس غريبا أن يقر من البداية بأنه ضد كل مافعلته الثورة فهذا حقه ، وهو حر فى اختيار معسكره ، ولكن الامر الغريب ، هو هذه النكتة السخيفة التى يطلقها ، حينما يقول بأنه رغم عدم رضاه عن كل ماصنعته الثورة ، فهو ثائر ، وثائر قديم من قبل أن يولد معظم ثوار يوليو !!

ولا يمهلنا الدكتور او يعطينا الفرصة فى التفكير ، فهو يبادر بتوضيح ثوريته الاصيلة ، ويعطينا نموذجا حيا يوضح فيه الفرق بين ثورية الثورة ، وثوريته .. ويختار قانون الاصلاح الزراعى ميدانا لابراز الفرق .. يقول فى «نفاقستان» ص ١٦ — ١٧ : —

«لاأستطيع ان أصور لك غبطة الناس وسعادتهم بهذا التغير الجذرى لحياة نفاقستان الذى طرأ فى الشهور التالية ، فقد صدرت قرارات ضخمة كان لها فى حياة البلاد آثار ضخمة ، وكان أولها قانون يحدد ملكية الارض المزروعة وهو أعظم القوانين فى تاريخ نفاقستان ، كانت الارض المزروعة يملكها الملك وامراء بيته ، وقلة من المواطنين ، وان كان بعض هؤلاء المواطنين قد تملك هذه الارض بورا فأحسن اليها بجهده وماله الذى جمعه بعرق الجبين ، فأحاله الى قطعة من جنان ، لذلك شاب هذا العمل العظيم احساس بالظلم مر وثقيل ، فان مصادرة أرض الملك وأسرته أمر مفهوم ، فقد سطت عليها الاسرة الحاكمة من أجيال سحيقة ، وانتزعتها من أصحابها بالقسر ، وحازتها من غير حق ، ولكن مصادرة ارض الأحرار المجاهدين أمر لا يقره عرف ولا دين» .

.. ان المؤلف يحكم بالكفر على قانون الاصلاح الزرعى ، لانه انتزع أراضى من أيدى الاقطاعيين ووزعها على آلاف المعدمين ، ولم يقل

لنا أى دين لايقر ذلك ؟ ولم يستشهد بالآيات أو الاحاديث النبوية الشريفة التى تمنع أى نظام او سلطة من الاستيلاء على أراضى الاقطاعيين وتوزيعها على فقراء الحال ومعدميه من الفلاحين ؟ هذه ملاحظة أولى .

والملاحظة الثانية انه يغفل أن الاصلاح الزراعى قد أبقى حدود ملكية الارض مائتي فدان ، ولم يصادر الا مازاد عن ذلك مع السماح بتوزيع عشرات الأفدنة الاخرى على الابناء والزوجات وهذا ابقاء علىجوهر الاقطاع ، مما جعل الثورة مرغمة على أن تجرى تعديلين آخرين ، يقلصان من حجم الملكية الضخم حتى وصلت به الىخمسين فدانا . أى ان أسر الاقطاعيين لم تتعرض للجوع ، ولا للتشريد .

والملاحظةالثالثة انالمؤلف يقول عنالاقطاعيين انهم منالمجاهدين الاحرار ، ولم يقدم نماذج من هؤلاء المجاهدين الاحرار ، واى جهاد خاضوه . وهذا يعنى انه يؤمن بأن الثورة ألحقت الضرر بالمجاهدين الاحرار !

.. ولكن كيف يستقيم ذلك مع ادعائه بأنه كان من الثوار الاوائل . أى كيف يزعم انه ثائر قديم ومدافع عن الاقطاع ومهاجما للاصلاح الزراعى فى نفس الوقت ؟

.. يحاول الدكتور الخروج من هذا المأزق باقتراح وبنصيحة للثورة . كان يرى الاخذ بها . يقول :ـ

«لقد كان أسلم طريق لتطبيق هذا القانون أن ينص على أنه يحظر على أى مواطن ان يملك من الارض ـ بعد عشر سنوات ـ اكثر من خمسين فدانا ، ثمتفرض فى الوقتنفسه ضرائب باهظةمتصاعدة على هذه الارض حتى يتعجل اصحابها التخلص منها ، وبذلكيحقق الثوار هدفهم من هذا القانون العظيم ، لعل هذا الاسلوب كان من شأنه أن نتفادى الهزة الاقتصادية واشاعة الكراهية فى نفوس أسر المالكين لأرضهم ، واتاحة فسحة من الوقت يوزع فيها أصحابالارض أراضيهم بالبيع او بالهبة . وبهذا الاسلوب ـ مع تطور الزمن ـ ماكان لصاحب أرض ان يملك من الارض شيئا » .

.. من الصعوبة مناقشة الدكتور فى هذا الاقتراح الغريب ، الذى لم نسمع أو نقرأ بأن دولة فى العالم قد أخذت به ، أو طبقته ، فالدكتور يقترح ـ ببساطة ـ على الثورة أن لاتستولى على الاراضى

المملوكة للاقطاعيين والزائدة عن الحد الاقصى من الملكية التى حددتها فى القانون الاول ـ سبتمبر ٥٢ ـ وبأن تعطى الاقطاعيين فرصة لان يتخلصوا من الزيادة فى مدة عشر سنوات ٠٠ وهذا يعنى أن الثورة لن تجد فدانا واحدا لتوزعه على الفلاحين المعدمين ٠ وفى نفس الوقت فان الاقطاعيين ـ حتى لو سلمنا جدلا بما يقترحه ـ لن يبيعوا أراضيهم للفلاح المعدم ٠ أى لن يقسموا أراضيهم الى قطع صغيرة ليبيعونها للفلاحين الذين لايملكون مليما واحدا ، وستكون النتيجة بيع الاراضى الى الاسر والافراد الموسرين ، أما القول بأن الاقطاعيين قد يوزعون أراضيهم كهبة للفلاحين فهذه مسألة لاتستحق النقاش ، لأنهـا تتطلب قلوبا رحيمة لا يتحلى بها السادة الاقطاعيين ، والا لقاموا بذلك من تلقاء انفسهم . ولو فعلوا لما كانوا اقطاعيين بل لأصبحوا اشتراكيين او ذوى نزعة انسانية كتولوستوى ، وهو مأزق يربأوا بأنفسهم ان يكونوا فيه .

٠٠ فما الذى يتبقى من الاصلاح الزراعى لو أخذنا باقتراح المؤلف ؟ ٠٠ لاشىء ٠

واذا كان الدكتور يقترح ذلك تلافيا للكراهية التى تملأ قلوب أسر قليلة من الاقطاعيين ، فان آلام وأحقاد ملايين الفلاحين الفقراء والمعدمين لاتهمه فى شىء ٠٠

اذا فما الذى جعل الدكتور يتقدم باقتراحه المضحك ؟

٠٠ انه الحقد المدمر والمجنون على الثورة وعلى قائدها ، حقدا شخصيا ، مما أخرجه عن حدود الموضوعية ، بل وتسبب تطرفه فى الحقد الى أن ينزلق لمواقف معادية للامانى الوطنية للشعب ولنضاله ، وكشف دون أن يدرى عن انتمائه ، لهذا الصنف من البشر الذى يقدس المستعمر ، ويشعر بالضيق والحقد على الشعب اذا مافكر فى تحدى مستعمريه ، ويعتبره شعبا من المجانين يتجرأ على أسياده ٠ وقد حدث من الدكتور موقفا كهذا ، اذ أراد أن يخطو خطوة أوسع لتوضيح ثوريته ٠ وزيف ثورية الثورة ٠ فقال فى «الوسواس الخناس» ص ٨٨ : ـ

«يجب أن تذكر الحكومة للشعب أن البلاد تورطت فى حربين ، قبل حرب اكتوبر ، فى سنتى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وأن آلاف الملايين صرفت على هاتين الحربين ، وأن مصر هزمت فى كلتيهما ، وأن

صورت الاغانى والأناشيد ان النصر كان لنا فى الاولى وعجزت نفس الاغانى والاناشيد عن تحقيق اى نصر فى الثانية » .

•• انالدكتور يعتبر أنمصر تورطتفيحرب ١٩٥٦، ١٩٦٧ .

فى حرب ١٩٦٧ ، نستطيع ان نقول ، نعم لقد تورطنا، وكان يجب ان نكون اكثر حيطة وحذرا حتى لانتعرض لما تعرضنا له من هزيمة شنيعة . ولكن الذى لاأفهمه هو كيف يعتبر الدكتـور أننا تورطنا فى حرب ١٩٥٦ ، فأسبابها معروفة وهي أن أمريكاوانجلترا والبنك الدولى سحبوا عرضهم بتمويل مشروع السد العالى الـذى يعتبر مطمحا وطنيالانه سيساهم فى تصنيع البلاد وتحقيقاستقلالها الاقتصادى ، وأعتقد ان كل انسان وطنى يطالب بذلك . وسحب العرض بالتمويل كان يهدف الى عرقلة هـذا الهدف الوطنى . والى الضغط على عبد الناصر حتى يقبل بالهيمنة الامريكية ـ الاوروبية . فلم يكن منه الا ان رد اللطمة لهم بأن أعلن تأميم شركة قنـــاة السويس ، وهذه خطوة وطنية لا يختلف عليها اى وطنى شريف . فقامت انجلترا وفرنسا واسرائيل بمهاجمـة مصر لتحطيم ناصر ، ونسف قرار التأميم ، فتصدى لهم .. وسواء هزمنا عسكريا أو لم فهزم ، فان اى وطنى كان سيتصدى لغزو بلاده مهما كانت النتيجة.

•• فهل يعتبر الدكتور التصدىللغزو توريط للبلاد فيالحرب؟ ولو كان مكان عبد الناصر . فهل كان يستسلم للانذار البريطانىـ الفرنسى ، حتى لايورطالبلاد فى الحرب . وليحصل على جائزةنوبل للسـلام ؟

•• ان القضية الاساسيةهنا هى ، ان الذى يقبل بالاستسلام هم الخونة وحدهم . كما أن عبد الناصر لم يسع الى هذه الحرب ولم يورط مصر فيها .. وانما مصر هى التى تعـرضت للعـدوان .. اما مسألة تصوير المسألة وكأنها نصر ، فهذه قضية أخرى ، لانالهزيمة العسكرية فى قضية كهذه لاتشين أحدا .

•• ماالذى يريده الدكتور ابراهيم بالتحديد من وصفهلعدوان ١٩٥٦ ، بأنه توريط للبلاد ؟ .. انهيريد ان يهاجم قرار تأميمشركة قناة السويس . وان لم يذكر هذا صراحة ، لان قـرار التأميم هـو الذى ورط البلاد فى هذا الموقف ،ولقد زاد الموقف سوءا حينمارفض ناصر الاستسلام للغزو ! .

.. وهكذا نرى أن تحكيم الضغينة والحقد والعوامل الشخصية في المسائل السياسية والقضايا الوطنية وتقييم الزعماء والقادة يؤدي الى مواقف متناقضة ، وفي أحيان كثيرة تجنح الى عملية تجريح للأماني الوطنية وللنضال الوطني للشعب نفسه علاوة على تجريح قادته الوطنيين ... ومن الامور التي تدعو للدهشة هي ان علي أمين هاجم السدالعالي هجوما عنيفا من الناحية الفنية واعتبره كارثة اقتصادية لمصر ، وانه مشروع خاطىء وأخذ يعدد مساوئه ، ويتغنى بمثالبه وكوارثه ، والغريب أن علي أمين لايذكر الآثار الاقتصادية للسد ، ووضع نفسه موضع الخبير الذي يفهم أكثر من كل خبراء العالم ، بما فيهم خبراء أمريكا وانجلترا والبنك الدولي الذين وافقوا على تمويل المشروع بعد أن درسوه .. وهذا يعني أن عبد الناصر قد ورط مصر في مشروع خاسر ، وورطها بالتالي في الحرب ..وعلي أمين دفعته أحقاده الى أن يهاجم كل شيء فعله عبد الناصر ، والى تلطيخه وتشويهه ، ولا نعرف ماذا كان سيكون موقفه من السد العالي اذا كانت أمريكا لم تسحب عرضها ، وقبلت بتمويله ..وقتها كان سيتغنى بمحاسنه ، وسيذكر فوائده التي استبدلها بالمساوىء التي لفقها ، ولكنه الحقد الذي جعله «يفتي» في مسائل فنية بعيدة عن تخصصه . ويهدم في مشروع يعتبر رمزا للاستقلال الوطني السياسي والاقتصادي .

اشتراكي مع الاقتصاد الحر !!

... واذا كان الدكتور ابراهيم عبده قد ألقى بنكتة سخيفة في كتاب «رسائل من نفاقستان» حينما زعم انه ثائر قبل أن يولد ثوار يوليو ، فانه ألقى في «الوسواس الخناس» بنكتة ثانية أشد سخفا من الأولى . فقد زعم انه اشتراكي قديم ومنذ ان كان شابا ، يقول في ص ٦٤ :-

«لقد آمنت بالاشتراكية في صدر شبابي ، ولاأزال أومن بها ، ومفهومي في الاشتراكية انها تعني رفع مستوى العامل وحقه في الارض التي يفلحها ، وتحمي حقوق العمال وتحصن هذه الحقوق بالتشريعات التي تزيد من نصيبهم في عرق جبينهم ، وقد تحمست للمحاولات الكثيرة التي بذلت لتطبيق هذه الاشتراكية بعد قيام ثورتنا في سنة ١٩٥٢ » .

.. ولا يعطينا الدكتور فرصة لكى نفكر فى هذه الاشتراكية التى يؤمن بها منذ شبابه ، وهل هى على غرار ، ثوريته فيما يختص بقانون الاصلاح الزراعى ، أم انها شىء جديد .. اذ يقول فى صفحة ٨٠ موضحا ومفسرا لاشتراكيته :ـ

«وانى لسعيد أن ينظر المسئولون لسائر الشئون فى بلادنا هذه النظرة المتفتحة ، فيؤيدون الاقتصاد الحر بعد سنوات من التزمت والانغلاق » .

وفى ص ٨١ يقول :ـ

«وليس من المعقول ان تلقى أمور الاقتصاد المنفتح الى أيدى من كانوا رواد الاقتصاد الموجه وركائزه وأصحاب الأصالة فيه» .

.. وحينما أعلنت الدولة أن الانفتاح يجب أن توضع له الضوابط التى تحفظ حقوق البلاد وتمنع سيطرة رؤوس الاموال الأجنبية والخاصة على اقتصادها . وأن الانفتاح لايعنى أن يأتى كل من هب ودب ليستثمر أمواله كما يريد بعيدا عن رقابة الدولة وعن خطتها الاقتصادية ، حينما أعلنت الدولة ذلك من موقع المسئولية الوطنية ، أبدى الدكتور تبرمه الشديد ، وضيقه من غباء الدولة وخيانتها لاشتراكيته .. فكتب صارخا :ـ

«ان عند جميع الدول ، وعند جميع الشعوب ، اقتصاد حر أو اقتصاد موجه ، وليس هناك اقتصاد ثالث على الاطلاق وقد كنا واضحين تماما فى سياستنا الاقتصادية منذ سنة ١٩٦١ والسنوات العشر التالية لها ، اذ كان اقتصادا موجها مافى ذلك من شك ، فلما جاءت سياسة الانفتاح قضى ذلك بانتقالنا الى اقتصاد حر ، وليس الى ذلك الذى يريدونه اختراعا كسائر الاختراعات » .

.. ولسنا فى حاجة الى التعليق على هذا التناقض الصارخ بين ادعاء الدكتور بأنه اشتراكى منذ الصغر ، وبين مطالبته بالاقتصاد الحر ، وهجومه على الاقتصاد الموجه . والغريب فى الامر ، انه يتناسى أن الاقتصاد الحر يعنى الرأسمالية بمعناها الكلاسيكى . وأن أى اصلاحى ـ وليس اشتراكى ـ يطالب باقتصاد موجه ، ولم نسمع بوجود اشتراكى يهاجم الاقتصاد الموجه ويدعو الى الاقتصاد الحر ، لان الاقتصاد الموجه هو الاساس المادى لأى بناء اشتراكى ، ويلاحظ

انه يرى أن حركة التصحيح فى ١٥ مايو(آيار) ١٩٧١ ، تعني العدول عن الاقتصاد الموجه ــ أى العدول عن الاشتراكية ــ والاخذ بالاقتصاد الحر ، أى الرأسمالى ، ولهذا فهو يبدى دهشته واستغرابه من هذه الدولة التى لا تريد تصفية القطاع العام والتخلى عن الاقتصاد الموجه .

•• ولقد كنا نود الدخول فى جدل معه حول الاقتصاد الموجه والحر ، وصلة هذا بالاشتراكية وذاك بالرأسمالية ، ولكنه قطع علينا الطريق حينما قال فى ص ٨٤ :ــ

« أنا لا أدعى لنفسى حصافة أهل الاقتصاد . بل لا أزعم ابدا اننى مارست التفكير فى شئون المال على أسس من اقتصاد مغلق او مفتوح ، او نجحت يوما فى تثمير الدانق والسحتوت» .

•• اذا لم يكن يفهم فى الاقتصاد فلماذا يقحم نفسه فيه ؟ •• واذا كان يزعم انه اشتراكى منذ شبابه دون ان يعلم ماهو الفرق بين الاشتراكية والرأسمالية . فمن أين استمد معلوماته وما هو سر اهتمامه بهذا رغم جهله به ؟ .

يجيب على هذا التساؤل :ــ

«غير اننى مواطن له أصدقاء فى كل بلد عربى يملكون الملايين ويحبون مصر ويريدون لها الرفعة والمجد وحسن المآل ، وهذا الذى أنقده أو أدعو اليه هو رجع الصدى لما يقولون ، وما اظنهم فيما يقولون أو يحكون قد جاوزوا الحقيقة أو أخطأهم الصواب » .

•• وعند هذا الحد ، نعتقد ان الدكتور قد كشف نفسه بأكثر مما يجب ، وتخلى عن أصول الحيطة ، وأفانين الحذر والذكاء الذى ينبغى التحلى به فى مثل هذه المناسبات العويصة ، فهو ليس الا معبرا عن مصالح أصدقائه من اصحاب الملايين ، وهو يستمد معلوماته منهم ، ثم انهم لايكذبون . وأخيرا يردد حكاياتهم التى يثق فيها ثقة عمياء . ومايقوله رجع الصدى لما يقولون ، وبالتالى فقد كانت الامانة تقتضى منه أن يقول انه يعبر عن آرائهم . وأنا اعتقد أنه لايحق لنا مناقشته أكثر مما ينبغى طالما انه مجرد مردد وناقل لآراء وحكايات أصحاب الملايين .

التشنيعات والنقاط الايجابية

.. ان الكتابين مليئان بالقصص والحكايات عن الاختلاسات والمفاسد والسرقات والارهاب والدكتاتورية ، ويحكيهـــا المؤلف مستخدما الرمز فى الاشـــارة للشخصيات وللأحداث . وهى مزيج من الاشاعات والتشنيع وحكايات المقاهى . والحقيقـــة كذلك ، والذى اضعف من اقواله هو انه لم يقدم اى براهين محددة على الاحداث والمآسى التى يتكلم عنها . أو يسوقها الينا . وكان عليـــه ان يفعل ذلك . على الاقل ليدعم موقفه . وليكون لـــكلامه وزن وتأثير .. فان احدا لا يمكن أن يؤيد الارهاب ، أو يرضى عن الظلم اذا وقع تحت اى حجة .. ولاننا نعلم ان كثيرا من الاخطاء قـــد وقعت لا يستطيع أحد نكرانها ولا تبريرها . ونحن مع المؤلف حينما يهاجم ظهور الطبقة الجديدة التى استفادت من القوانين الاشتراكية. والتى اختلست الأموال العامة . واثرت على حســـاب الشعب ، وحلت محل الطبقات المدحورة ، دون ان ينالها العقاب .

.. ولكن المؤلف يتميز منذ البداية بروح عدوانية ضد الثورة وعبد الناصر ، بحيث اصبحت السطحية والتسرع من سمات ماكتب، علاوة على سوء اتجاهه السياسى .

.. وفى حقيقة الامر ، فان ماكتبه الدكتور ابراهيم ليس شرا كله ، اذ لم يعدم بعض النقاط الايجابية فى «الوسواس الخناس» حينما وجه النقد الشديد الى استمرار الرقابة على الكتب والابحاث العلمية والبريد ، واشار الى وجود خمس جهات تتولى الرقابة ، حتى على كتب الطهى والحياكة ! وطالب بالغائها .

.. اما غير هذه النقطة الايجابية ، فالمؤلف يعطينـا نمـوذجا سيئا ، لانه لم يردد الا احقاده الشخصية والخاصة ، وأفكاره المتخلفة وابتعد عن الموضوعية التى كان يجب ـــ كاستاذ جامعى اكاديمى ـــ أن يتحلى بها ، فالقى بنفسه فى طابور الذين تجاوزوا نقد عبد الناصر، الى سب الشعب المصرى وتجريح نضاله ، ومعاقبته لانه أحب ناصر ومنحه تأييده . كما اوقع نفسه فى تناقضات صارخة لانه أراد فى الكتابين أن يركز على حقيقة أن الذى قام بالثورة وقادها وخطط لها لم يكن عبد الناصر ، وانما اللواء محمـد نجيب .. ونفى أى دور لعبد الناصر ، دون ان يدعم رأيه بالادلة والاكتشافات والوثائق التى

يبرر بها هذا الكشف التاريخي الخطير ، فمحمد نجيب لم يزعم لنفسه هذا الحق ، كما ان السادات فى كل ماقاله أكد على زعامة وقيادة عبد الناصر للثورة · والمؤلف يستند الى أن محمد نجيب كان على رأس الثورة حين اعلانها ، ان حقده المجنون جعله يكذب على التاريخ والواقع ، بل وينسب الى أشخاص أعمالا لم يدعوا لانفسهم القيام بها · والدكتور بهذا الموقف يناقض نفسه تماما · فقد أخذ يعيب فيما كتبه ، على محاولات تزييف التاريخ المصرى ، وخاصة فى الكتب التى تدرس فى المدارس · ولكنه يلجأ بنفسه ، وبعد صفحات قليلة من انتقاداته الى عملية تزييف حينما يحاول ان ينزع عن ناصر دوره القيادى فى الثورة ·

·· وغير هذا التناقض هناك تناقضان آخران وقع فيهما المؤلف ·· الاول انه أخذ يعيب على الذين كانوا يمدحون عبدالناصر، ويتهمهم بالمنافقين ، حتى حول الشعب المصرى الى شعب من المنافقين وحول مصر الى نفاقستان ·· ولكننا نراه يلجأ الى الاسلوب الذى عابه على الكثيرين ·

وأما التناقض الآخر الذى وقع فيه ، والذى يشكك فى صدق رواياته واشاعاته .. فهو أنه فى «نفاقستان» يقول لعزيزه «تعيسيان» ص ١٥ :

«وانى لأتخيل فرحتك وانت تفض رسالتى وهى بكر لم يعبث بها فى الطريق أحد ! فان القوم هنا بدءوا يعودون الى طبيعتهم السمحة بعد سنوات من الانغلاق وسوء الفهم والتقدير ، فلم تعد هناك رقابة على البرق او الهاتف أو البريد» ·

·· ونراه فى «الوسواس الخناس» ص ٨٠ يصرخ من الرقابة قائلا :ـ

«وان الحراسة وان رفعت عن أصحاب الاراضى والعمارات ، فانها لاتزال مفروضة على أصحاب العقول والافكار ، وان الانسان المصرى لايزال فى جانب من نفسه معتقلا فى جهاز اسمه الرقابة ، وتحت بصر حارس اسمه الرقيب» ·

·· ولا تعليق بعد ذلك ؟

● ●

صالح جودت .. رجل لكل العصور

« وأنا لا أملك من الدنيا بيتا ولا قيراط ارض »

ـ صالح جودت ـ المصور ـ ٢٦ ابريل ١٧٤ ـ

تقول لنا أن سوف يكفيك قبضة

وبطنك شبر أو أقل من الشبر

وأنت اذا مانلت شيئا قضمته

كما قضمت نار الغضي حطب السدر

« الضحاك بن فيروز الديلمي يصف عبد الله بن الزبير »

.. يعتبر الاستاذ/صالح جودت من أبرز فرسان الحملة على عبد الناصر ، ان لم يكن أفكههم ، فهو الذى بادر «بشن هجوم صاعق ضد عبد الناصر » ، بشكل مباشر ، مفتتحا بذلك صفحة التشهير والتجريح .. وعلينا ان ننبه القارىء مقدما . بأن صالح جودت يواظب على ان يحتفظ لنفسه «بمركز الصدارة» . ويصر دائما على أن يكون الاول فى كل عهد .. انه أول من يمدح من فى السلطة بحيث يكون صوته اعلى الأصوات . واول من يذم اى عهد وأى شخص يشم ان السلطة لاترضى عنه .. ثم اذا ولى العهد ، وجاء غيره ، يكون أول مهاجم لمن كان أول مادح لهم . ويكيل المديح للجديد والذم للقديم .. ببساطة شديدة دون أن «تطرف له عين» ، أو «يحمر له خد» .. وهو بذلك رجل كل عهد .. منافق عظيم لا يمكن مجاراته ويستحق «جائزة نوبل للنفاق» ، ان كان للنفاق جوائز ومسابقات فى زماننا هذا .

.. وفى حقيقة الامر ، فان كثيرين يشعرون بالاشمئزاز والرغبة فى التقيؤ . كلما قلبوا تاريخ هذا الشاعر . وكثيرين وجهوا لى اللوم لاننى خصصت فصلا كاملا له . لانه لايستحق سطرا واحدا .

.. ولكننى اخالفهم فى تقييمهم لصالح جودت .. لان دراسته تعتبر متعة ، ومسألة مجلبة للفكاهة . وهو يعتبر «العنصر الكوميدى من ضمن عناصر الثورة المضادة » ، ثم انه يذكرنا بتلك الظاهرة التى اعتقدنا انها اندثرت . وهى ظاهرة شعراء القصور والامراء الذين يبيعون شعرهم لكل حاكم وأمير .فهو دليل على استمرار الظاهرة . ودليل على أن خراب الذمة لاحدود له .. وأن عصرنا قادر على أن ينجب من يتفوقون فى هذا المجال على الاقدمين .. فليس لهم أن يتفاخروا بأنهم وحدهم الذين انجبوا شعراء وكتاب للامراء وللقصور . وأن ضمائرهم وذممهم كبرت لتسع كل شىء ! لان عصرنا انجب

واحدا ، تواضع ضميره وذمته بحيث وسعت كل مالم تطق او تقبل ضمائرهم وذممهم قبوله ٠!

٠٠ من أين نبدأ بهذا المنافق الذى تفوق على عظماء النفاق فى التاريخ ؟

٠٠ فى عام ١٩٧٣ ٠ أصدر الاستاذ عامر العقاد ــ ابن شقيق المرحوم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ــ كتابا بعنوان : «صالح جودت فى الميزان» تناوله فيه من جوانب متعددة ٠ وسوف نعرض ملخصا للفصل الخاص « بذمة الشاعر فى ميزان شعره » .

٠٠ قال المؤلف :ــ

«بعد قضية الاسلحة الفاسدة ، وانكشاف المستور من فساد الملك السابق فاروق ٠ وبعد أن أصبح فاروق مجرما من أعرق المجرمين يرفضه الضباط والجنود ، ولايضمرون الولاء له لاجرامه بعد أن بلغت به الضعة أن يتجر بأرواحهم وهم فى ساحة القتال ٠ بعد كل هذا يكتب صالح جودت فى مدح فاروق بمناسبة ومن غير مناسبة ٠ أغان يغنيها كبار المطربين مذيعين فى الآفاق هذا النفاق البغيض ٠

هل يمكن الا أن يكون نفاقا خالصا صافيا قوله :

دعانى داعى شبابك قمت لبيتك

ونادى ساحر جمالك قمت لبيتك
ومن كتر غيرتى عليك فى القلبخبيتك
وقلت لك يافاروق القلب دا بيتك
شبابك نفحة م الجنة
تهنى الروح وتسعدها
وتاجك مصر تتهنى
عليه والدنيا تحسدها
وعيدك غنوة تتغنى
وطول الليل أرددها
واقول للفجر يستنى
لأفرح مصر يوم عيدها

٠٠ يقول المؤلف معلقا « هذا الزجل نشر فى العدد الصادر فى ١٩٥٠/٨/٢٥ ، من مجلة الاذاعة التى كان يرأس تحريرها ٠ ولم يكف صالح جودت أن يسود صفحة واحدة من المجلة بمثل هذا

الهراء السخيف بل أنه سود صفحة أخرى بكلام أحقر من هـــذا الكلام • لقد تطوع بالرد على الذين هاجموا الملك بسبب الأسلحة الفاسدة : قال صالح جودت مدافعاً عن الملك :

«ان طلعة الفاروق فى أى بلد أوربى لزعيمة بأن تقضى على عشرات الملايين التى ينفقها اليهود فى النكاية بمصر والحملة على سمعة مصر وشعب مصر وتاج مصر فى غمضة عين •

«سيخرج أهل البلاد السعيدة التى يزورها الفاروق ليروا طلعته ، سيجدون أمامهم خير ملك فى الارض • سيجدون أمامهم شبابا مشرقا ، وذكاءا دافقاً وعلما موفورا • ولسانا عذبا وأدبا رفيعا • ورجولة صادقة وديمقراطية حقة • سيجدون أمامهم رجلا هو فى تواضعه ملك • وملكا فى عظمته رجل» •

•• وفى حقيقة الامر ، فنحن نرى أن صالح جودت يحدثنا عن اكتشاف سلاح سرى جديد وشديد الفعالية ، لمقاومة الدعاية الصهيونية فى اوربا ضدنا ، يحبط هذه الدعاية ويبدد عشرات الملايين من الدولارات التى تنفقها الصهيونية ضدنا •

ماهو هذا السلاح ؟

•• انه جمال فاروق وشبابه ورجولته !!

•• وصالح جودت كان يعلن عن اكتشاف هذا السلاح •وعن تبرير رحلات الملك الى أوربا فى الوقت الذى كانت أوربا تنظر بعين السخرية الى فضائح ومهازل الملك • وفى وقت زكمت فيه رائحة فساده أنوف المصريين • الذين كانوا يتحفزون لخلعه ووضع حد للعار وللفساد الذى يجلبه عليهم مجرد بقاء شخص كفاروق فى السلطة •

•• ويورد المؤلف نماذج من قصائد كثيرة قالها صالح جودت فى مدح الملك فاروق ونشرها بمجلة الاذاعة فى ١٩٤٨/٢/٧ مثل القصيدة التى قال فيها :ـ

حبيب النيـــل فى يــوم عيـدك
دى ليـلة القــدر ميـــلادك
يتحقــق عــــلى ايــــدك
أمانى الســـعد لبـــلادك ..
أفوت عــلى الليـل الاقى الليـــل
بيوصـــف للقمـــر لطفـــك

افوت على النيل الاقى النيل
بيروى للوجود عطفك
.. ثم يقول عن شباب فاروق وقلبه ، وعنه وهو يتكلم :

شبابك .. ربنا يسلم
شبابك عالبلاد نعمة
وقلبك .. منه نتعلم
معانى الحب والرحمة
اشوفك لما تتكلم
كلامك اغلى من الحكمة

.. يقول المؤلف ص ٤٧ — ٤٨ :

« ثم انظر الى هذا الشيء الذى لم يسبق احد اليه صالح جودت . الشيء الذى ستظل الأجيال بعد الاجيال ترويه عنوانا على خراب نمة بعض الادباء فى عصرنا . عن لصالح جودت أن ينظم قصيدة من الشعر جعل عنوانها : « ليالى اسماعيل » ونشرها فى مجلة الاذاعة فى العدد الصادر فى ١٠ يوليو ١٩٤٨ ، بعد حرب فلسطين مباشرة . وبعد فضيحة الاسلحة الفاسدة . وبعد انطلاق السنة الناس فى الملك فاروق بكل ما يمكن أن يعبر عن الكراهية والاحتقار ، ثم عن للشاعر أن يطبع ديوانا من الشعر اسمه « اغنيات على النيل » فى سنة ١٩٦٢ . فاخذ هذه القصيدة ورفع منها أبيات المدح التى صاغها فى فاروق وجده اسماعيل ووضع بدلا منها أبياتا فى ذم فاروق وجده اسماعيل . وغير فى عنوان القصيدة تبعا لهذا التغير فى موضوعها او تبعا للتغير الذى طرا على مصر كلها بقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . يقول فى الصورة الاولى وقد نشرت بمجلة الاذاعة العدد الصادر فى ١٠ يوليو سنة ١٩٤٨ :

عجبا » لازورقى يسرى ولا النيل يسير
وصدى الذكرى ينادى : ها هنا العهد الوثير
ها هنا القصر الذى تحسد ماضيه القصور
ايها القصر الذى تحسد ماضيه القصور
لاترع فالمجد باق . ولذكراك عبير
ولايك فى الأيام بعث ونشور
اينعت من روض اسماعيل فى مصر الزهور

ثم يقول فى الصورة الاخرى من نفس القصيدة نشرت بديوان « اغنيات على النيل » فى عام ١٩٦٢ صفحة ٦٧ :

كان اسماعيل دنيـــا جمعت فيهـــا العصور

وطواها الكبر والطاغوت والحـــكم الغرير

.. ويبدو أن المؤلف قد استبد به الغضب فعلق قائلا :

« فهل رأى الناس فى العربية كلها منذ تنزل وحى وحى الشعر على شعرائها ، شاعرا اقل حياء من هذا الشاعر الذى يسوق الى قرائه هاتين القصيدتين ، أو هذه القصيدة فى صورتين فى اقـــل من عشر سنوات ؟ وعلى هذه الوتيرة من النفاق المرذول والتلون لكل عهد باللون الذى يناسبه ترى صالح جودت يفعل فى قصيدة أخرى بمثل ما فعل فى قصيدته السابقة وان كانت هذه الفعلة مخجلة اشد الخجل لكل قارىء بقى فى نفسه احترام للقيم » .

.. ويشير المؤلف الى قصيدة قالها صالح جودت فى مـــدح فكرى أباظة بمناسبة حصـــوله على الباشوية ٠ أى لقب باشا فى عام ١٩٥٠ . اذ القى قصيدة بمبنى نقابة الصحفيين قال فيها :

اخلعوا الغار على هذا الجبين

واحتفـوا للقلم الحر المبـين

بارك الفـاروق فيـكم قلمـا

لم تحـركه الى الزيف يمـين

٠٠ وفى عام ١٩٥٧ ، جمع صالح جودت بعض شعره فى ديوان سماه « ليالى الهرم » ووضع هذه القصيدة ضمن قصائده ولكن بعد أن بدل وعدل ٠ فابدل كلمة « الفاروق » بكلمة « الرحمن » فاصبحت بعد التبديل كالآتى :

بارك الرحمن فيـــــكم قلمـــا

لم تحـــركه الى الزيف يمين

٠٠ ويبدو أن صاحبنا لم يطق صبرا ٠ فعلق بقوله :

« خسئت أيها الشاعر الذى لاترى فرقا بين الرحمن سبحانه وتعالى حينما يبارك بنعمائه صاحب قلم حر لم يتحرك لمدح الزيف ، وبين ذلك العربيد النجس « فاروق » ٠ فهل رأى الناس مرة ثانية

منذ تنزل الشعر على شعراء العربية شاعرا لا يرى فرقا بين عطايا ملك وعطايا الاله ؟! »

.. وكان من الواضح أن صالح جودت قد ألقى بنكتة سخيفة أغاظت المؤلف وأثارت أعصابه . حينما تحدث فى احدى قصائده عن ضميره الحى :

كم شـــاعر دونى جـــرى شـــعره
بمدح حـزب أو بزلفى وزير
فصفق النـــاس له وانبروا
فلقبوه بالأديب الشـــهير
واحتاطت النعمة أبوابه
وزينته خلع من حـــرير
وكل مابينى ومابينـــه
انى تورعت وباع الضـــمير

فقال عامر العقاد بعـد أن فاض به الكيل :

« أى ضمير يا هذا ؟ أهو الضمير الذى وصفه أحد زملائه فى مجلة صباح الخير فى عددها الصادر ١٩٦٧/١٠/١٣ بعنوان «وجه الشاعر الصفيق أهو الضمير الذى جعلك تشدو ـ فض الله فاك ـ أن فاروق كان الناس يتعلمون من قلبه الحب والرحمة ؟ أهو الضمير الذى كان يدعو لمصر بأن يسلم لها شباب فاروق الذى تراه وحـدك من نعم الله التى من به عليها ! أهو الضمير الذى رأى فى يوم عيـد ميلاد ذلك الملك المقامر أنه ليلة القدر التى وصـــفها القرآن الكريم « بانها خير من ألف شهر وأن الملائكة تنزل فيها على عباده الصالحين ؟ « أهو الضمير الذى يرى صاحبه أن على أيدى ذلك الملك الذى باع جنوده فى ساحة الشرف بابخس ثمن ، تتحقق أمانى السعد للبلاد ؟! أى سعد يا هذا ؟! »

.. ان نقطة الضعف الوحيـدة فى هذا الجزء من كتاب عامـر العقاد عن صالح جودت ، هى ، انه لم يواصل عملية التأريخ لنضال الشاعر .. وخاصة شجاعته المفاجئة فى الهجوم على عبد الناصر . بعد أن كان أول ـ كعادته ـ من مدحه ، وكان أول ـ كعادته أيضاـ من رثاه حين مات ولم تكن الحملة قد بدأت بعد .. ولكننا نتفهم الآن،

الاسباب التى أدت الى هذا النقص ، فواضح ان عامر العقاد قد اخذ فى دراسة مواقف صالح جودت على اساس سليم ومن زاوية جدية ·· فتوترت اعصابه من شعره فى ملك فاسد عربيد ، ونجس كما قال عنه · ثم التهبت أعصابه حينما رفع كلمة «الفاروق» · ليضع مكانها كلمة «الرحمن» ، ضد أى احساس دينى او بشرف الضمير ··· ولو أن عامر العقاد استمر فى متابعة صالح جودت · لمات كمدا · أو لانفجر من شدة الغيظ · ولهذا آثر الاحتفاظ بحياته حتى لايكون ضحية لصالح جودت ·

·· وحين قامت الثورة سارع صالح جودت باعلان تبرئه من العهد الملكى ، واخذ يكيل له الشتائم نثرا وشعرا ، ويكيل المديح بالنثر وبالشعر ، للثورة ولانجازاتها العظيمة ولقائدها عبدالناصر· ونحن لن نتتبع ماكتبه · وانما سننقل للقارىء تلك القصيدة التى التى رثى فيها عبد الناصر حين مات ·· ونشرها بالمصور بتاريخ ٩ اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٠ ، اى بعد وفاة ناصر بحوالى احدى عشر يوما ·· وعنوان القصيدة : «نحن أولى بالرثاء» :

أمع الاسراء نادته السماء
كدت أحسبه فى الانبياء

علت الطائرة النكلى به
فتخيلت براقا فى الفضاء

كنت أسمع فى موكبه
نغم الأملاك يعلو بالدعاء

كدت أن أشهد فى رحلته
مشهد الجنة وعد السعداء

وتمثلت مسيحا صاعدا
أفما كان مسيح الزعماء

يحمل الآلام عن أمته
ويشيع الحب فيها والصفاء

ياقضاء نرتضيه ·· بينما
نجهل الحكمة فى هذا القضاء

أالعزى فى جمال أمة
لا ترى فيه سبيلا للعزاء

أو أرثيه بدمعى ودمى
فنحن فى المأساة أولى بالرثاء

لا تلـــوموا عينـــا فى مــوقف
بات اعيــا النـــاس فيه الشـــعراء

٠٠ وحين تنحى عبد الناصر فى ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، فى اعقاب الهزيمة ، كتب قصيدة غنتها أم كلثــوم يطالبه بالبقاء ٠٠ المهم أنه يصور عبد الناصر فى صورة النبى ٠ تحيط به الملائكة ٠٠ الى أخر الصور الشعرية التى حشدها فى مرثيته ٠

٠٠ والآن ، وبعد أن بدأت الحملة ، كيف نظر صالح جودت الى من اعتبره « نبيا » و « مسيح الزعماء العرب » ، والذى كانت « الملائكة تدعو فى موكبه » وطيف جبريل ٠ ومشهد الجنة الذى كاد أن يراه ٠٠؟

٠٠ فى عدد المصور ٨ مارس (آذار) ١٩٧٤ ، كتب صالح جودت مقالة بعنوان « بل هى شرعية جديدة (وصف فيها عهد عبد الناصر « بالماضى » ٠٠ وقال بعد أن أوضح أنه كان خرابا :ـ

« اذا احسن رجل الحارة المصرية والشارع العربى الاجابة عن هذا السؤال فانه يتفق معنا أن الشرعية التى قامت منذ عشرين سنة أو أكثر قليلا ، قد سقطت نهائيا فى يونيو سنة ١٩٦٧ وأننا عشنا فترة غير شرعية منذ ذلك التاريخ ، حتى قامت شرعية جديدة مختلفة فى نوعيتها واخلاقياتها وتطبيقاتها كل الاختلاف يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، فى ذلك اليوم ٠٠ سقط « الماضى » ٠٠ نزلت الستارة عليه وبدأت ثورة جديدة فى تاريخ مصر ٠ كما بدأت صفحة جديدة فى التاريخ العـــربى » ٠

٠٠ فى ١٥ مارس ١٩٧٤ ٠ كتب مقالا بعنوان « على من اطلق الرصاص ؟ » ٠ وقد بادرت جريدة العمل التونسية الناطقة بلسان الحزب الاشتراكى الدستورى الحاكم فى تونس بنشرة كامــلا فى صفحتها الاولي . وبما تشيت باللون الأحمر على ثلاثة أعمدة . . وفى هذا المقال ٠ أظهر شماتة حتى فى موت عبد الناصر ٠ وتهكما عـلى موته :ـ

« كنت فى الاسبوع الماضى أتحدث عن « الماضى » ٠ لا لاطلق الرصاص على هذا الماضى ٠ فقد مات واصبح فى ذمة التاريخ ٠ واطلاق الرصاص على الميت حرام ٠ ولكن لاطلق الرصاص على الذين يريدون

أن يبعثوا هذا الماضي . ليحيا من جديد . ولنحيا فيه مـــرة اخـــرى بكل مااحتواه من يأس وقهر وظلام » ٠

٠٠ وقال عن ناصر :

« وتوحيد الامة العربية ٠٠ ماذا انجزمنه هذا الماضي ؟
اطلق لسانه على ملوك العرب ورؤسائهم بالســـب والطعن ، ينتف لحية زيد ، ويسب أم عمرو ٠ ويتهم فلانا بالخيانة وعــلانا بالجنون ! وهكذا تحولت الجامعة العربية الى حلبة « كراتيه » بعـد أن كانت مأمولة كحديقة حب وساحة فداء ! » ٠

٠٠ ونسى أنه قال عنه :

« أنما كان مسيح الزعماء » ٠
ويحمل الآلام عن أمته ٠
ويشيع الحب فيها والصفاء ٠

٠٠ وفى ٢٢ مارس ١٩٧٤ ٠ كتب مقالا بعنوان « لا أتكلم عن الماضي » بدأه قائــلا :ــ
« حديثنا اليوم ليس عن الماضي ٠ بل عن الحاضر الذى نملكه ٠ وعن المستقبل الذى يملكه ابناؤنا ٠ وأنا لم أكتب عن الماضي شــماتة فيه ٠٠ معاذ الله ٠٠ فأنما يفرح فى الموت من لايموت » ٠

٠٠ وفى ٢١ يونيو/١٩٧٤ ، كتب مقالا بعنوان « فى ذكـرى الثورة ٠: هل تبقى الثورة الى الابد ؟ » ٠٠ قال فيه :ــ
« ومما لاشك فيه أن انقلاب ٢٣ يوليو ، قد نجح ، ورســـم لنفسه نهجا على أساس خطوط ستة آمن بها الشعب وساندها كـل المساندة ، على أمل أن تصل به الى المكانة التى وعد بها القائد يــوم قيام الثورة وكان ممكنا ٠٠ كان ممكنا جدا ٠٠ أن نصل الى هــذه المكانة ، لولا ما اعتور الطريق من انحرافات ، واطماع شـــخصية واهتبال للاسلاب والغنائم وتكالب على الشهوات والملذات ، ونشدان للأمجاد الذاتية على حساب الصالح العام » ٠
٠٠ وفى حقيقة الامر ، فان الكثيرين تساءلوا عن السر فى أن يتعجل صالح جودت كتابه مقال يقيم فيه ثورة يوليو قبل أن تحـل ذكراها بأكثر من شهر ٠٠٠ ألم يكن من الاجدر أن ينتظر حتى يحين الموعد ليكتب وليقيم كما يريد ؟

•• وهذا التساؤل ينتهى حينما نعلم أنه فى نفس المقالة تحدث عن استقبال نيكسون ووصفه بأنه يعنى رفضا من الشعب للنظام الذى فرضته عليه ثورة يوليو !! وعلى القارىء أن يستنتج بذكائه !!

•• وفى ٨ نوفمبر (تشرين ثان) عام ١٩٧٤ • كتب مقالا •• ضمنه تعليق خاطف بعنوان « هل من حق الحاكم أن يبيع الشعب » قال فيها :ـ

« هل من حق عبـــد الناصر ـ رحمه الله ـ أن يبيع مصر والمصريين للأخ العقيد بالبترول ، كما تبيع موسكو يهود الاتحـاد السوفيتى للامريكيين فى هذه الأيام بالقمح ؟! »

•• ويبدو أن صالح جودت قد أحس بمن حوله ـ حتى من الذين يصفقون له ، ويدفعونه للمزيد ـ ينظرون اليه بخبث ويدارون ابتسامة معلوم مغزاها • كما يبدو أنه أحس بالذين صرخـوا فى وجهه • وأيها المنافق الكذاب • ما رأيك فيما كتبته فى الملك فاروق • ثم فى عهد عبد الناصر • ويامن رثيته كأنه نبى » •• فاراد أن يرد ويبرز موقفه ونفاقه ولعقه للاحذية ، وتقبيل عتبات المسـئولين والحكام •• فكتب فى المصور بتاريخ ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٤ دعاء • قال فيه :ـ

« قيل لشاعر مخضرم عاش الجاهلية والاسلام ـ كيف تلقى الله ويا طالما سجدت للانصاب والازلام • وسكت على المنكر ، وصاحبت أصحابه فى جاهليتك ؟

قال •• والله ما صنعت الا مارأيت قومى يصنعون ـ فلما جاء نصر الله والفتح • ودخلت فى دين الله • أحسست بأنه غفرلى حين قال سبحانه « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، أن الله يغفر الذنوب جميعا » •

«فياربنا : اغفر لنا ما قلنا وما فعلناف جاهليتنا • فقد اسرفناعلى أنفسنا فى كتمان الحق والسكوت على المعصية • اغفر لنا بعد أن جاء نصر الله والفتح ، وعدنا الى عهدك وتبنا اليك ، انك انت الغفور الرحيـم » •

•• وسواء قبل الله ذنوبه وغفرها له ، أم انها أكبر من ذلك •• فان الذى يهمنا أنه اعترف بأنه سجد للازلام • وكان منافقا • بل

زعيما للنفاق واهله ٠٠ ولكنه زاد الامر غموضا حينما لم يوضح ٠ أى جاهلية سجد فيها ؟ ٠ جاهلية عهد فاروق ؟ أم جاهلية عهـــد عبد الناصر ؟ وبالتالى فالمغفرة التى يطلبها ٠ عن نفاقه لفاروق أم لعبد الناصر ؟

٠٠ أما لماذا نتساءل ٠٠ فلاننا نعتقد ، بل أكاد أن اجزم ، أنه لايطلب المغفرة عن سجوده وكتمانه للحق فى عهد فاروق ٠

٠٠ ألم يضع كلمة « الرحمن » الذى يطلب منه المغفرة ٠ مكان كلمة « فاروق » الملك المقامر الفاسد ؟

٠٠ ان الجاهلية التى يقصدها كانت جاهلية عهد ناصر ٠٠

٠٠ ومع ذلك فان علينا الاعتراف ، بأن من الوجهة الدينية يظل باب التوبة مفتوحا للعاصي والمخطىء ٠٠ وبطبيعة الحال ــ للمنافق ــ حتى وان كان زعيما للنفاق والمنافقـــين ٠٠ بشرط أن تكون توبة حقيقية ٠٠ لامجرد ستارة لممارسة نفس اللعبة ٠٠ أى ارتكاب نفس المعاصى ٠٠ من ورائها ٠ ومن خلال متابعتنا لتاريخ هذا المنافق العظيم يصعب علينا ان نصدق توبته ٠

٠٠ التوبــة ؟

٠٠ يقولون « التائب من الذنب كمن لاذنب له » ٠

ولكن شـــاعرنا تاب عن ذنب واحد ٠٠ هو ذنب عبد الناصر والسجود لجاهليته ٠ ورفض أن يتوب عن ذنب الملك فاروق ٠

٠٠ لماذا أعلن التوبة اذا ؟

٠٠ لا نعلم ٠٠ ولكن الشىء المؤكد ٠٠ أنه وان كان يعتقد بأنه من الذكاء بحيث يستطيع أن يضحك علينا باعــلان التــوبة مع استمراره فى المعصية ، فانه لن يستطيع ممارسة اللعبة يوم الحساب ٠

٠٠ ولا يكتفى صالح جودت بهذا ٠ وانما يصمم على أن يزيد الامر سخرية وهزءا ٠٠ أو يزيد من مأساويته ــ فالأمر سيان ــ بأن يعلن أنه رجل طاهر ! ورجل صالح كاسمه ! وبسبب طهارته وصلاحه تعرض للاضطهاد والتنكيل فى عمله ٠٠ وهى المرة الاولى التى يجرؤ فيها انسان على أن يعلن انه طاهر ٠

فى عدد المصور بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩٧٤ ٠ كتب يقول :ـ

« في الاسبوع الماضي ، وقعنا نحن الادباء الاطهار الذين نؤمن بمصر ولا ننحرف لشرق أو لغرب » .

.. ويتحدث عن بطولاته وتاريخه النضالي فيقول في المصور بتاريخ ٢٦ أبريل (نيسان) ١٩٧٤ . في مقالة بعنوان « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم » . صدق الله العظيم ..

« لقد عشت شبابي في عهد الاحزاب . ولكنني أشهد الله أنني لم أنتم الى احد منها ، ولا دخلت دار أي حزب في يوم من الأيام . ولكنني كرست كل حياتي لمصر وحدها فيما كنت ألقي من الخطب والقصائد في المدرسة الثانوية والجامعة في كل موقف وطني .»

.. أي أنه نسي قصائدة في الملك فاروق وعبد الناصر ، وفكري أباظه .. الخ والغريب أنه يقول أنه لم ينتم الى أي حزب او يدخل داراله .. ولكنه لم يوضح لماذا ؟ .. وكان من الاجدر ، وحتى يكون أمينا وموضوعيا ، أن يوضح أنه اكتفى بدخول القصر الملكي واكتفى بحب الملك فاروق وأجداده .

والأمر الاشد غرابة ، أنه يجد الجرأة لأن يشهد الله على أنه كان يلقي القصائد لخدمة مصر فقط ، مع أننا نحن البشر شاهدون على قصائده في حب ملك فاسد . مقامر ولص وطرده شعبه . أي اننا شاهدون على كذبه ونفاقه . وعلى أنه استبدل اسم هذا الملك باسم الرحمن ـ جلت قدرته .

أهذا كلام يمكن صدوره عن شخص طاهر ومؤمن ؟

.. ظن هذا المنافق أنه قادر على خداعنا . فلما لم يفلح .. وصل جنونه الى محاولة الكذب على الله . ونكران اشياء ثابته يراها البشر ويقرأونها ، بينما الله يعلم حتى دخائل نفسه وضميره ؟! .

.. وفي عدد المصور بتاريخ ٥ يوليو (تموز) ١٩٧٤ . كتب مقالا بعنوان « هل كان محمد يساريا ؟ » قال فيه عن نفسه :

« اكتب وانا لا أنتمي لشرق أو لغرب ، ولا اتردد على أية سفارة اجنبية ، ولا أقبل هدية أو دعوة أو حقوق تأليف قصص ومقالات واحاديث من أية دولة شرقية او غربية .. وهناك من يفهمون ما أعني ويعرفون من اعني . أكتب وأنا لاانتمي الا لمصر . مصر العربية المؤمنة » .

•• ونحن لن نناقش هنا أمورا شخصية • ولكن • نسأله • هل كان مدح الملوك والحكام لوجه الله تعالى وحبا وكـــرامة فيهم ، وايمان بما يمثلون ويفعلون ؟ وهل هذا التلون والتبدل ، والمـــدح والذم • عن ايمان أم في مقابل ؟ •• وعلينا أن نشير بأن اذاعة ليبيا المسماه « صوت الوطن العربى » •• أذاعت له ــ بصوته ــ قصـــة الثورة وانجازاتها وتاريخها في النصف الثاني من يناير (كانون ثان) ١٩٧٥ • على حلقات ــ بمناسبة عيد ميلاد جمال عبد الناصر ــ ١٥ يناير • وكان يحكي قصة الثورة ويغير ويبدل في صوته • يعلوبه وينخفض • يتحمس ويهدأ • كأنه ممثل اذاعي بارع •

وبتاريخ ١٥ مارس ١٩٧٤ كتب يقول :ــ

« وأما الباقون ــ وهناك باقون ــ فانني لا اســـتعدى الدولة عليها ولا الناس ولا أطالب باعتقالهم ولا تجويعهم ولا تشريدهم كما فعلوا بنا في الماضى » •:

•• ولم يذكر صالح جودت متى تم اعتقاله في هذا (الماضى)؟ ومتى تم تجويعه ؟ ومتى تم تشريده ؟ • حتى نعلم مقدار تضحياته ومقدار العذاب الذى واجهه بسبب معارضته للنظام ووقوفه ضـــده وتمسكه برأيه • !

•• وما نعلمه ان الانسان لايمكن تعذيبه وتجويعه واعتقاله وتشريده بسبب قصائد ــ ومقالات ــ يمدح بها النظام ليلا ونهارا •

•• اذا كانت الجرأة قد وصلت به الى حد الكذب على الله • فهل نستكثر عليه أن يكذب على عباده ؟

•• ويزيد الطينة « بلة » حينما يتحدث عن نضاله من أجـــل الرئيس السادات وحبه له •• فيقول في المصور بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٧٤ :ــ

« وانا اعترف ــ ولى شرف هذا الاعتراف ــ بأننى أحب أنور السادات •• أحبه حبا مصريا خالصا مؤمنا • ولكننى لا أداهنه بمـــا قلت ، وبما أقول وبما سوف أقول » •

•• ثم يصل به الشـــطط فيقول في مقاله بتاريخ ٢٤ مايو ١٩٧٤ في المصور :ــ

« الاول : أن الرئيس أنور السادات ، وانا في طليعة من آمنوا به وحاربوا خصومه من أجله قبل ١٥ مايو » ••

والامر الغريب أنه كان يمدح الملك والعهد • الذى فصل السادات، طارده • وحاكمه وسجنه • وشرده •• فما هي مظاهر الحب التى غمره بها وقتها ؟ .

•• هل دافع عنه ؟ • لقد كان هناك عشرات من الصحفيين والكتاب يدخلون السجون ويناضلون بالفعل والكلمة ضد فساد وطغيان الملكية •• بينما كان يمدحها ليل نهار •

•• متى أحب السادات اذا ؟ • ألم يكن شاعرا وكاتبا لامعا بينما كان السادات يحاكم وتنشر صوره فى الجرائد ؟ • لماذا لم يقل كلمة حق وانصاف ضد الارهاب الذى سلطه فاروق عليه ؟

•• وأما ادعاءه بأنه من كان فى طليعة من آمنوا بالسادات وحاربوا خصومه قبل مايو١٩٧١ ، فهذا أمر لم يثبته بالدليل العملى• أى بالموقف او الكلمة •• وفى حقيقة الامر ، فانأحدا لم يكن ليطالبه بشىء • بل انه يسىء لكل من يؤيده •

•• وبعد •• هل هناك أشياء لم نتعرض لها ؟

•• نعم •• هناك الكثير والكثير •• ولكنى مرغم على التوقف عند هذا الحد • فقد آثر صاحبنا عامر العقاد الهرب من ملاحقة هذا المنافق طويلا ، لينقذ نفسه من الموت كمدا وغيظا • وانا لاأحب أن أموت من السخرية ، أو أجد نفسى وانا اصرخ طالبا النجدة •

•• وماذا أيضا ؟

ولاننا لانحب أن يموت القارىء من الغثيان • لان أحد لايمكن أن يتصور وجود شخص بهذا الضمير والخلق والنفاق والابتذال ، وبأن هذه الصفات يمكن لها ان تجتمع بهذا الشمول والاتساع فى نفس بشرية واحدة •• كما لانحب ان يلاقى القارىء المصير الذى أفلت منه عامر العقاد ، ولا المصير الذى لاأود ان الاقيه بسبب صالح جودت •• اى الموت كمدا وغيظا ، او سخرية •• لاننا لانحب ان يلاقى القارىء مصيرا كهذا •• نجد لزاما علينا انتوقف عند هذا الحد •• طالبين الرحمة والغفران لاجدادنا المنافقين •• والصبر على هذه المصيبة •

توفيق الحكيم .. القيس والنائب

«اننى قد اقترب أجلى وضعف عملى ، ولا أحب ان أبتدىء أهل هذا المصر • بقتل خيارهم وسفك دمائهم ، فيسعدوا بذلك واشقى ، ويعز فى الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة •

« المغيرة بن شعبة ــ حينما طالبه بعض أعوانه بالقيام بعمل ضد أنصار عـــلى بن أبى طالب بالعـراق » •

.. ان اى متتبع لمسار «الحملة» ومحتواها ، والقائمين بهالم يكن ليجد أدنى صعوبة بالتنبؤ بمصيرها المحتوم ، اذ كان محكوما عليها بالفشل الذريع ، بل وخلق ردود فعل اكثر قوة ضدها لان الاهداف الحقيقية لقادة الحملة ، ولمن يحركونهم سواء فى الداخل او فى الخارج ، ستظهر أمام الجماهير ان آجلا او عاجلا ، بل ان الاقلام التى تصدرت الحملة لاتحظى بأى احترام لدى الناس ، وتاريخها لاينسى ، وهو يقف عقبة أمام طموحاتهم . اذ لم يكن بين هذه الاقلام او الشخصيات صاحب سمعة حسنة ، اوتاريخ مشرف او من له مواقف شجاعة تحسب له . وتكسبه وزنا . وانما كانوا خليطا عجيبا من باشوات مصر السابقين واقطاعييها ، ومن المتهمين بالتجسس لحساب المخابرات الامريكية ، وكذلك الذين كانوا من كبار المنافقين والمشبوهين فى مسلكهم .. وجماعة كهذه لايمكن أن تتمكن من التأثير الجاد والعملى ، لانها فى حاجة الى مساعدة لتبرئتها مما علق بتاريخها وسلوكها . ـ وكانت هذه الجماعة ـ رغم ارتفاع صوتها وضجيجها ـ تضيق الحلقة من حولها يوما بعد يوم، وتتكشف أهدافها الحقيقية ..

وفى هذه اللحظة تقف توفيق الحكيم بنفسه فى المعركة الدائرة والتى كانت تتصاعد ، ويحمي وطيسها . ولكنه للاسف الشديد اختار ان يسبح فى تيار الحملة .. ولقد كان لهذا الموقف من الحكيم ، وقع الصاعقة ، على كل القوى والافراد الشرفاء الذين لم يجنح خيالهم الى توقع موقف كهذا منه ، ولكن قادة الحملة اعتبروها نجدة او احدى هدايا «ليلة القدر» اذ كان الحكيم يعتبر منقذا لهم من طوق العزلة الذى كان يضيق عليهم الخناق يوما بعد يوم ، فالحكيم ليس بالشخصية الهينة ، وهو يتمتع بوزن هائل ، ويحظى باحترام شديد ، ثم انه يكاد ان يكون الوحيد من بين زملائه . الذى حظى برعاية وتكريم غير عاديين من عبد الناصر ، ومكانته

الادبية والمعنوية والثقة فيما يقول تجعل من أى كلمة يقولها قوة كبيرة ، يثور من حولها الجدل والنقاش على أسوأ الفروض ٠٠ولقد أحدث كتابه «عودة الوعى»ضجة كبيرة ، اذ بينما استقبلهالتقدميون على مختلف ميولهم بالدهشة ، استقبلته القوى الرجعية بالرقص وراوا فى الحكيم اماما لهم ، او «المهدى المنتظر» الذى ينقذهم من عزلتهم وافلاسهم السياسى والاخلاقى ٠

٠٠ وفى حقيقـــة الامر ، فان من الضرورى اعادة التأكيد بأن من حق كل انسان ان يقول رأيه وخاصة المفكرين والكتاب ، ومن حقهم الافصاح عن مواقفهم الحقيقية دون خوف او رهبة ، وتوفيق الحكيم من الضرورى ان يدلى برأيه خاصة وأن العمر يتقدم به ،حتى أصبح شيخا مرشحا للموت كما قال ٠ وهىخسارة كبرى أن يرحل عن عالمنا دون ان يقول كلمته ٠ ومن الاجدى بالنسبة له ان يقول كلمته وهو حى ٠ لتتاح له فرصة النقاش واختبار مـدى صـدق وصواب ماقال وحتى تكون فرصة للجميع لان يحاوروه ويداوروه لتعم الفائدة ٠ أما ان الحكيم لم يكن ــ كما قال ــ راغبـا فى نشر رأيه الا بعد وفاته ٠ فهذا هروب من مواجهة المسئولية ٠

٠٠ ايضا فلست مع الذين كان غضبهم من توفيـق الحـكيم مبنيا على اعتبارات عاطفية محضة ٠ واعتباره ناكرا للجميل وللحب الذى كان يكنه له ناصر ، ولست مع الذين عيروه بما قاله مدحا فى عبد الناصر ، لان هذه أساليب تستهدف منع الانسـان من أن يقول رأيه دون الخضوع لأى مؤثرا ت، ٠٠ ومن هـــذه الزاوية أستطيع ان أتفهم دواعى الحكيم فيما قال وكتب ٠

٠٠ وفى المقابل فان علينا ان نحدد موقفا فيما قال وكتب ٠ وأعتقد انه أساء لنفسه كثيرا ، حينما أساء اختيار معسكره ،كما أنماقاله يدخل فى باب «التشهير» فقط بعبد الناصر ، انه لم يقل رأيا موضوعيا بالمرة ، بل وردد ــ للاسف الشديد ــ ماقاله قادة الحملة الرجعيـــــة ٠

٠٠ ففى ص ٥٢ــ٥٣ من «عودة الوعى» يقول عن تأميمالقناة:

«وكان أن قال وزير خارجية الولايات المتحدة مستر دالاس ذلك القول الذى أغضب عبد الناصر ، فكل رد الفعـــل الانفعـالى المعتاد ، وصدر تأميم القناة مع دفع تعويضات ٠ وفى وقت لميبق

فيه سوى أقل من عشرة اعوام لانتهاء امتياز هذه القناة ، وعودتها قانونا الى ملكية مصر بدون دفع أى شيء »

.. ويقول فى ص ٥٣ :

«وعند ما جاءت الجيوش والطائرات الى بورسعيد وبدأ العدوان الثلاثى أرسلت برقية الى عبد الناصر أقول فيها «انى وأنا كهل يسير نحو الستين مستعد لحمل السلاح» .. كنت فى ثورة ١٩٥٢ وفى كهولتى افكر بقلبى . وكنت فى ثورة ١٩١٩ وفى شبابى أفكر بعقلى .. ولست ادرى سببا لذلك . قناة السويس كانت دائما مطمع أنظارنا . وهاهى ذى فى يدنا والباقى لايهم»

ان هناك كثيرا من أمثال هذه المقاطع التى تعتبر آية فى التناقض ، وفى اخفاء الاتجاهات والآراء الحقيقية، اننى لا أشعر بفزع أخلاقى لان ينتقد الحكيم عبد الناصر ولا ان يقول رأيه فيه وفى الثورة رغم صمته ومدحه ، بقدر ماشعرت بالفزع والرعب من الآراء التى يدلى بها فى قضايا أساسية لم أظن انه يتخذ نحوها مواقف عدائية . واستطيع ان اقول ان الحكيم لم ينتقد عبد الناصر الا لاسباب سياسية تتناقض مع آراء لم يجرؤ على البوح بها ايام عبد الناصر .

.. ان الحكيم يعارض تأميم القناة . وهو لايلتزم بالموضوعية ولا الأمانة فى عرضه للقضية .

أن يشير الى سحب أمريكا لعرضها بتمويل السد العالى ، وتشكيكها فى اقتصاد مصر . ويعتبر ان تأميم عبد الناصر للقناة كان رد فعل انفعالى ، اى غير علمى ، وغير منطقى ، ويغلف الحكيم هجومه على خطوة التأميم بالقول بأننا كنا سنتسلمها بعد عشر سنوات دون ان ندفع التعويضات . اى انه لم تكن هناك ضرورة لتأميمها مادامت ستعود الينا ، بل انه يعتبر التأميم هنا خسارة مالية لاننا سندفع تعويضات !

.. لقد تناسى الاستاذ توفيق ان يورد بالارقام كيف ان التعويض لم يكن ليزيد على مائة مليون جنيه فى أحسن الاحوال، وأن دخل القناة فى العشر سنوات لن يقل فى أسوأ الظروف عن ٨٠٠ مليون (ثمانمائة مليون جنيه) أى ان مصر ستكسب من وراء التأميم ولن تغرم .. هذا من الناحية الاقتصادية التى يتعلل بها .

•• وهو لم يوضح لنا رأيه فى رد الفعل الذى كان يتوجب على ناصر ان يقوم به ردا على اهانة الامريكيين لنا ، حتى لايتهم بالانفعالية •• فهذا مالم يقله • وكان يتوجب عليه ان يقوله •

•• أما الاحتجاج بالبرقية التى أرسلها لعبد الناصر عارضا خدماته ، وقوله بأن القناة أصبحت فى أيدينا ، فانها لاتصلح ستارا لاخفاء المعارضة لتأميم القناة •• وللمطالبة بموقف متخاذل أمام تحدى أمريكا لنا •• انه يطالبنا بألا نمارس حقنا الشرعى فى تأميم القناة ، ونحن لانعرف على وجه الدقة ماهو رأيه الان حينما أصبح التأميم حقا معترفا به تمارسه الدول لتحرير ثرواتها من سيطرة الاحتكارات الاجنبية بعد ان كان التفكير فيه يؤدى الى قيام الحروب • اننا نذكر الاستاذ الحكيم بأن الواجب يقتضى منه أن يتفاخر بان مصر هى التى فتحت الباب لمرحلة جديدة أمام الشعوب المضطهدة، وانهت مرحلة التدخل العسكرى الاستعمارى لمنع الدول من السيطرة على ثرواتها حينما قامت بتأميم القناة واصبحت خطوتها نموذجا يحتذى فى مواجهة الاحتكارات • لا ان يعتبرها ردا انفعاليا من ناصر على استفزازات دالاس • وقد يكون له عذره • اذ يبدو انه يخلط بين المواقف الثورية وبين التهور ، ويعتبر الجرأة على تحدى الاستعمار ومنازلته عملا بعيدا عن التعقل ، ثم يخطو الاستاذ الحكيم خطوة أخرى أكثر عمقا ليؤكد بها موقفه هذا حينما يقول فى ص ٦٧ :

« ولكنه القرار المعروف قرار الانسحاب من اول نظرة الى سوء الموقف • انه اسلوب واحد هو طابعنا المتخذ فى حروب الثورة • توريط أنفسنا ثم الانسحاب » ان مايعنينا هنا هو مسألة توريط انفسنا • وأنا لا اناقش هنا حملة اليمن أو حرب ٦٧ ، وهل ورطنا أنفسنا أم لا ، وانما أناقش مسألة توريط أنفسنا فى حرب ١٩٥٦ ، فتوفيق الحكيم ينسجم مع رأيه فى تأميم القناة حينما يعتبر حرب ١٩٥٦ ، توريطة اذ من الواضح أننا اذا لم نؤمم القناة فان انجلترا وفرنسا واسرائيل لم تكن لتهاجمنا ، أى أننا أخطأنا فى التأميم لانه يعتبر التوريطة الحقيقية ، وليس هناك مبرر للتوسع فى مناقشة هذه القضية لاننا سبق وناقشناها حينما تعرضنا لكتاب نفاقستان والوسواس الخناس • والشىء الملفت للنظر هو التحليل الواحد الذى يلتزم به الحكيم وابراهيم عبده والنظرة الواحدة الى حرب ١٩٥٦ ، واعتبارها توريطة ! ان الاستاذ توفيق الحكيم يتحدث عن فقدان

المعارضة ، والرأى ، وهو كلام جميل ، ويتحدث عما سمعه عن أساليب التعذيب الجهنمية ، ويطالب بفتح تحقيق فيها • وهذا أمر مقبول ويجب تحقيقه ••

•• ولكن السؤال المحير هو :

واين كان هو ؟ مالذى فعله ليعبر عن معارضته لكل ذلك • وليسجل موقفا يحسبه له التاريخ ••؟

•• ان الانسان ليشعر بالأسى العميق حينما يقارن بين مواقف الحكيم ومواقف آخرين أمثال برتراندراسل فى انجلترا ، وجان بول سارتر فى فرنسا ، وغيرهم من المفكرين والادباء • الذين عبروا عن معارضاتهم بمختلف الاشكال •• بالتظاهر • بالجلوس فى الشوارع احتجاجا على ما اعتبروه خطأ وسجلوا مواقف تحسب لهم حينما قرنوا الكلام بالفعل • وأثبتوا أن الكاتب والمفكر يجب ان تكون له قضية يدافع عنها ويتحمل تبعات هذا الدفاع •

•• ويبدو ان الحكيم قد احس بأنه سيواجه بهذا السؤال المحرج • فأراد أن يستعرض لنا بطولاته التى أقدم عليها ليقاوم الطغيان وسوء الحال ، فكانت بطولات ومواقف نسمع عنها للمرة الاولى •• يقول ص ٦٠ — ٦١ :

«لقد كانت ثقتى بعبد الناصر تجعلنى أحسن الظن بتصرفاته، والتمس لها التبريرات المعقولة وعندما كان يخالجنى بعض الشك أحيانا ، وأخشى عليه من الشطط او الجور كنت ألجأ الى افهامه رأى عن بعد وبرفق وأكتب شيئا يفهم منه ماأرمى اليه •• فقد خفت يوما أن يجور سيف السلطان فى يده على القانون والحرية فكتبت (السلطان الحائر) ثم خفت ان يكون غافلا عما اصاب المجتمع المصرى قبيل حرب ١٩٦٧ من القلق والتفكك ، فيعتمد عليه فى الاقدام على مغامرة من المغامرات فكتبت (بنك القلق) وهى كلها كتابات مترفقة بعيدة عن العنف والمرارة ، لمجرد التنبيه لا الاثارة • وكما علمت فقد قراها وفهم ماأقصده منها • ولكنه فيما ظهر لم يأخذ بها ، بل اندفع فى طريقه •• ولست أبرىء نفسى بهذا لان ادانتى الحقيقية هى فقدان الوعى • وأنا فى الشيخوخة وبعقل يعيش بالتفكير •»

•• ان الاستاذ توفيق الحكيم يجعل من مناقشته مسألة فى

غاية الصعوبة ، ان لم تكن مستحيلة ، وهو يبرر موقفه تبريرا عجيبا ويسوق لنا أدلة أشد عجبا عن مقاومته للارهاب والانهيار ! وهى تذكرنا بهذا النوع من الحجج التى يسوقها أى فرد ليبرر بها موقفا لايمكن الدفاع عنه ، بحيث يجد الانسان نفسه مجبرا على عدم المناقشة لفقدان أى أساس معقول أو مقبول ٠

٠٠ فهل كان الأجدى لتوفيق الحكيم ان يكتب السلطان الحائر وبنك القلق او يكتب مذكرتين يوضح فيهما رأيه ومطالبه ويرسلهما لعبد الناصر ، أو تيطلب مقابلته ويقول له رأيه ومخاوفه بصراحة ؟

٠٠ فما الذى منعه من ذلك ؟٠

٠٠ انه لشىء محير أن يكتب مسرحيتين لانه لم يجرؤ على قول رأيه صراحة للحاكم !

والامر الأشد غرابة ان يلوم الحكيم عبد الناصر ، لانه لم يأخذ بما ترمز اليه المسرحيتان بعد أن قرأهما وفهم مرامى الكاتب ٠!

وهو يعتبر انه أدى واجبه ٠ واستراح باله خصوصا حينما تأكد أن ناصر قرأ مسرحياته وفهم الغرض ٠

٠٠ ان السؤال الذى يطرح نفسه علينا هو :
لقد كتب الحكيم مذكرة فى أوائل عام ١٩٧٣ ووقع عليها بعض الادباء والصحفيين يحتج فيها على اعتقال الطلاب ويطالب بموقف واضح للسلطة من الديمقراطية ومن حالة اللاسلم والحرب ٠ فلماذا لم يفعل نفس الشىء مع عبد الناصر ؟

أو لماذا لم يكتب مسرحية او اثنتين للسادات ليبلغه فيها رأيه فى الاوضاع ؟

٠٠ والغريب فى الامر انه قد قابل الرئيس السادات وشرح له الموقف ، وبأن المثقفين لايعادونه ، وأن مابلغه عن موقفهم مشوه، وبه كثير من الدس الرخيص٠ولقد جلست أكثر من مرة مع الاستاذ توفيق الحكيم فى مكتبه أو فى فندق سميراميس فى حضور بعض الاصدقاء لنتناقش فى المحنة التى ألمت ببعض الصحفيين بنقلهم الى جهات أخرى ومنها هيئة الاستعلامات ٠ وقد كنت واحدا من الذين أرسلتهم هيئة النظام بالاتحاد الاشتراكى الى مصلحة الاستعلامات٠

وقد استثنى من القرارات الاستاذ الحكيم ونجيب محفوظ اذ كنا نعتبره مدافعا عن الحرية والديمقراطية . وقد خـــرج من مقابلة الرئيس بانطباعات حسنة جدا .

وكان الحكيم سعيدا بلقائه بالرئيس والوعد الذى حصل عليه بحل «الازمة» خاصة وان أحدا لم توجه له اى تهمة فى اى شىء ..

.. الغريب ان الحكيم قد لعب دورا عمليـــا عبر به عن رأيه . كما اتخذ موقفا . فهو كتب عريضة وجمع عليها التواقيع وتحمل الموقف ، وقابل الرئيس وتباحث معه طويلا فى أمور كثيرة وقال وجهة نظره بصراحة فى مشاكل البلاد وهــــو لم يتكلم مع الرئيس « بالرمز » . وانما على المكشوف .

.. لقد كانت هناك مناسبات كثـيرة فى الســابق ، كانت تتطلب من الحكيم أن يتخذ موقفا مشابها .. كان يمكن مثــلا ان يحتج حينما طرد عشرات من الصحفيين ـ منهم كثير من كبارالكتاب ـ من صحفهم فى عام ١٩٦٤ اثناء تولى الدكتور محمد عبــدالقادر حاتم وزارة الاعلام ، وأرسلوا الى مؤسسات ، باتا والدواجــــــــن والأخشاب !.

وكان يمكن ان يحتج حينما وقعت مظاهرات العمال والطلاب احتجاجا على الاحكام التى صدرت فى قضية الطـيران ـ محاكمـة صدقى محمود ـ واعتقال العديد من الطلاب والعمــال واطــلاق الرصاص على بعضهم فى الاسكندرية والمنصورة !

.. كان يستطيع الاحتجاج بعدمحاكمة المتهمين بمحاولة قلب نظام الحكم ، من جماعة عبد الحكيم عامر ـ شمس بدران ـ صلاح نصر .. وخصوصا حينما ظهرت وقائع التعذيب واستغلال نفـوذ رجال المخابرات وعدد من العسكريين لتحقيق مآرب شخصية ! .

.. وأخيرا كان يستطيع الاحتجاج على العزل الجماعى للقضاة، وعلى تدخل المباحث الجنائية العسكرية .. أو ليس هو الذى قال منذ قليل «فقد خفت يوما ان يجور ســيف السلطان فى يده عــلى القانون والحرية فكتبت السلطان الحائر » ؟

.. كيف يمكن تفسير هذا التناقض ؟
.. هناك احتمالان ..

فاما أن الاستاذ توفيق الحكيم كان موافقا ومباركا كل ماينتقده اليوم • وبالتالى لايمكن الاعتداد بشادته ، واما انه لم يكن موافقا • وانما لجمه الخوف • فصبر على مضض ، وقد وصل به الخوف الى حد جعله لايكتب «عودة الوعى» الا بعد ان تأكد بالادلة القاطعة او وفاة عبد الناصر حقيقية •• وليست تمثيلية • فبدأ يكتب فى يوليو ١٩٧٢ ، أى بعد عامين من الوفاة !

•• وهنا سنجد أنفسنا أمام موقف نرفض فيه التعلل بالخوف او بفقدان الوعى .. لقد كان على الحكيم أن يتخذ موقفا صريحا وواضحا ويتحمل تبعاته ـ وأنا أشك كثيرا فى انه كان سيتعرض للأذى لو فعل ذلك ـ وقتها • كنا سنحمد له هذا الموقف الشجاع، كما اننا لم نكن لنحزن ونرتاع لو قرأنا له «عودة الوعى» وأمامنا مواقفه السابقة التى أعلن فيها احتجاجه واستنكاره على المخالفات والأخطاء التى ينقدها الآن بشدة •

التراجع الحذر

•• لم يكن الحكيم «الها» ليكون بعيدا هو الآخر عن النقد ، وما دام قد قبل أن ينقد ، فعليه أن يهيىء نفسه لتلقى النقد ،ولكن يبدو انه لم يكن مستعدا الاستعداد الكافى ، كما يبدو انه كان على ثقة بأن كلمته سيتلقاها الناس وكأنها القول الفصل ، بحيث لاتحتاج الى مناقشة • او تتعرض هى وقائلها للهجوم العنيف والمشوب بالمرارة • لقد أصاب الحكيم بالحيرة كل الاطراف •فالقوى الرجعية لم تكن تتوقع منه هذه «الهبة» والنجدة التى تقدم بها • والقوى الاخرى التقدمية والوطنية الشريفة لم تكن تتوقع بدورها هذا الموقف • وبينما هلل الفريق الاول • استدار الفريق الثانى للحكيم لمواجهته • وبدأوا فى منازلته علنا •• وفقد الحكيم الكثير والكثير واضطر الى التراجع • والوقوف موقف الدفاع عن نفسه والانشغال بتفسير ماقاله ، وبتفسير التفسير •• وهكذا •

•• ولسنا هنا فى حاجة الى استعراض كافة الآراء التى ردت عليه • او التعرض لردود الحكيم عليها •• ويكفى ان نعرف أن مصطفى وعلى أمين قد فرحا كثيرا بموقف «الحكيم» ، وأرادت الاخبار أن تعبر عن عظيم فرحتها حينما اعربت عن رغبتها ان تحتفل بعيد

ميلاده ! وكأنها تريد ان تقول «لقد عاد الينا من ستر عورتنا» ..

.. لقد كان الشيء المحير هوأن توفيق الحكيم قد قبل «حفاوة» الرجعية به ، وتطبيلها وتزميرها ، وكنت اتوقع ان يهاجم محاولة العودة الى الماضي ـ قبل ١٩٥٢ ـ وهو الماضي الذي كان يهاجمه ويطالب بالثورة عليه . ولكنه لم يفعل ، وظل صامتا بعيدا عن تحديد موقف واضح ، كما فعل مع عبد الناصر .. لقد استحق عبد الناصر من الحكيم الهجوم والتعريض ، ولم يستحق الرجعيون منه شيئا !! كما كنت أتوقع ان يتعرض للحملة التى تطالب بتصفية القطاع العام والاصلاح الزراعي . وكل مكتسبات الثورة التى يعتبرها الحكيم ١٠ أو ٢٠ ، او ٣٠٪ مماتحقق للناس على يد الثورة . وطالب بأكثر منها ـ كما سنورد ذلك بعد قليل ـ ولكنه صمت صمتا عجيبا . وكانت هذه هي الملاحظة الاولى . وأما الملاحظة الثانية فهي أنه سكت على ماقاله صالح جودت عنه . فقدقال فيمقالته المشهورة ـ التى نشرها بمجلة المصور ١٥ مارس ١٩٧٤ ، تحت عنوان :«على من أطلق الرصاص» ـ مشيرا الى بيان توفيق الحكيم الذى كتبه في عام ١٩٧٣ كما أشرنا :ـ

«شرعية تملي علينا ضمائرنا ان نحميها بصدورنا وأن نطلق الرصاص على خصومها الذين يريدون أن يبعثوا الماضي ، والذين اتهموا أنور السادات ـ قبل معركة ٦ اكتوبر الخالدة بفترة وجيزة انه لن يحارب وان سياسته «تبعث على القرف» هؤلاء هم خصوم الحق في مصر الحاضر ، ومصر المستقبل ، الا من تاب منهم وعمل صالحا . واحقاقا للحق ، وأقول ان نفرا من بينهم قد تاب وآمن وعمل صالحا ، فلم يسعني الا أن أسعى اليه ، وأن أصافحه واعانقه » .

.. توفيق الحكيم يسكت عن صالح جودت وتعريضه به بهذه الصورة ، ويقبل على نفسه أن يكون صالح جودت هو « القسيس الصالح » ليتوب أمامه عن المذكرة التى كتبها وطالب من الكتاب والمفكرين أن يضعوا توقيعاتهم عليها .. ووضعوها ثقة منهم فيه أولا .. ونحن نسأل ألم يكن من الاجدر به أن يتوب على يد قسيس حسن السمعة ونظيف التاريخ ، غير هذا القسيس « المدان » والذى وصلت سمعته وتاريخه الى مستوى يجعل التوبه على يديه باطلة ؟

.. لقد تعرض توفيق الحكيم كما تعرضنا نحن معه الى حملة فظيعة من صالح جودت بعد طردنا من أعمالنا ، اتهمنا فيها بأننا عملاء وخونة ومتآمرون وطالب بشـــنقنا .. وهاجم توفيق الحكيم هجوما عنيفا خاليا من الأدب .. والآن يزعم صالح جودت أن الحكيم قد تاب . ولهذا فقد تنازل وقبل أن يصـــافحه ورغم ذلك لا يرد الحكيم أو يتكلم !

.. قد يرى البعض أن هناك من تابوا ـ غير الحكيم ـ على يد صالح جودت . وان الحكيم قد صمت تعففا عن الزج بنفسه فى مناقشة مع شخص مثل صالح جودت حتى لايجلب له العار ، كما أنه شخص اعتاد الكذب وهو ملك من ملوك النفاق ، فلا يستبعد أن يكذب ، أو يكون قد قصد شخصا أو أشخاصا آخرين .

.. وعلى الرغم من أن احدا ، لم يتعرض لحكاية التوبة هذه . فقد أراد القسيس الصالح أن يؤكدها من جـديد .. ففى مقالة له بالمصور بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩٧٤ تحت عنوان « مطلوب كيسنجر من أى دولة » قال :ـ

« واذا كان القراء يذكرون حكاية « العريضـــة » التى أدارها بعض الصحفيين للتوقيع فى أوائل العام الماضى وزعموا فيها أن أنور السادات لن يحارب ، وأن سياسته تبعث على « القـــرف » .. الى آخر ماذكروه من ترهات كذبها واقع ٦ أكتوبر العظيم ، وكانت تحمل أكثر من ثمانين توقيعا ليس بينها غير اسمين أو ثلاثة يعرفها الناس فليعلموا أن هذه الاسماء القليلة . قد اعترفت بعدئذ بأنها « اندبت» فى هذه الحكاية . ولهذا بادرت بتوقيع بيان الاسبوع الماضى مـع بقية الادباء الاطهار ، لكى تبرأ بذلك من وزر العريضة الســـابقة الآبقة ، وممن اوعزوا بها وطيروها الى صحف لبنان واذاعات لنـدن واسرائيل » .

.. لقد كان على الاستاذ توفيق الحكيم أن يرد على هذا الهجوم عليه . فاما أن يكذب صالح جودت ، واما أن يتولى الاعلان عن توبته بنفسه .. فهل « اندب » فعلا فى التوقيع على العريضة ؟ وهل كان محطئـــا ؟

.. فلماذا لم يعلن ـ كما أعلن فى عـــودة الوعى ـ أنه كان فاقدا الوعى حينما كتب العريضـــة ووقع عليها ، ان كان مايقوله

صالح جودت صحيحا ؟ · وان كان كذبا فكان عليه أن يوضح موقفه الحقيقى ·

·· لقد كانت هناك مواقف كثيرة ، ووجهات نظر عديدة قبل الحرب ، تغيرت بعدها حينما اتضحت أبعاد الصورة · وتم تصحيح كثير من المواقف ·· فقد كانت البلاد ممزقة بفعل حالة اللاسلم واللاحرب ، وكانت مظاهرات الطلاب تطالب بالحرب وبالجدية فى الاستعداد لها · ولقد طردنا من أعمالنا حينما طالبنا فى نقابة الصحفيين برفع الرقابة عن الصحف فى اجتماع الجمعية العمومية فى ديسمبر ١٩٧٢ ، خاصة حينما اتضح ان الرقابة لاتحمى الامن القومى كما هو مفترض فيها ·

وقد تم تصوير مطالبنا على انها مؤامرة ضد الرئيس أنور السادات ·

ولعب بعض الصحفيين دورا فى ذلك ·· ومع هذا فما الذى حدث ؟

لقد أصدر الرئيس قرارا بعودتنا الى أعمالنا وكذلك الافراج عن الطلاب المعتقلين فى خطابه الذى القاه بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لوفاة عبدالناصر ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ ـ أى قبل الحرب بحوالى أسبوع · وحينما قامت الحرب ، انتهت المشاكل ·· وبعدها رفعت الرقابة عن الصحف ، وعين الرئيس أحمد بهاء الدين رئيسا لتحرير الأهرام ، وكان ممن أرسلوا الى الاستعلامات · وعين صلاح حافظ رئيسا للتحرير فى روز اليوسف ، وكان من ضمن قائمة الاستعلامات ·

فعن أى شيء يندم الحكيم ؟ وفي أى عمل « اندب » ؟ لقد انهت الحرب أزمات الثقة واتضح أن أسوأ العناصر وأكثرها تخلفا وجهلا هي التى أوقعت بين النظام وبين الطلاب والمثقفين ·· وانكشفت اللعبة وظهر للملأ من هم أبطال الوشاية الوقيعة ·

··· عن هؤلاء صمت توفيق الحكيم · بينما نراه يتحمس ويرد على الذين تعرضوا لما قاله فى عبد الناصر ، وكان حريصا على أن يؤكد ما قاله · وهذه مسألة تسترعى الانتباه والتفكير ·· وقد بلغ من شدة حرصه أن يكرر رأيه فى مناسبة الذكرى الرابعة لوفاة

عبد الناصر ، اذ نشر في أهرام الجمعة ــ ٢٧ سبتمبر ١٩٧٤ ــ كلمة بعنوان « كلمة في ذكرى » • أعلن في مقدمتها أنه تنبأ بالثورة في كتابه «شجرة الحكم» المنشور عام ١٩٤٥ ، وبشر بها ، واكد حبه واعتزازه بناصر • ولكن هذا الحب والاعتزاز شيء ، والنقـــد شيء آخر •• يقول عن المكاسب التي حصل عليها الشعب من الثورة :ــ

« الى أي حد وبأي نسبة ظفر الشعب بهذه المكاسب ••• في رأي أن ماتحقق له من مكاسب الثورة لايزيد على عشرة في المائة مما توقعنا له • وقد اتفاءل وازيدها الى عشرين أو ثــلاثين في المائة ، دفعنا فيها من حرياتنا ووعينا وأرواحنا وأموالنا أبهظ الاثمان •• على كل حال كانت آمالنا في الثورة أكبر مما تحقق حتى الآن » •

ويقـــول :ــ

« لست أدرى لماذا الغضب والارتياع والتشنج والفزع عنـــد الناس لمجرد ذكر الملف وفحص الملف؟ أهو خوف شخصي من خبيء لايراد كشفه أهو نوع من عبادة الفرد اعتدنا عليه ونعتبر من الكفر المساس به؟ أهو تدهور في التربية الوطنة .. لا يفرق بين المناقشة والتهجم ؟ من طول ما ألف الناس أن الخلاف في الرأي يؤدى الى المعتقلات ؟ »

ويقـــول :ــ

أقول للشباب لاني وجهت اليه كلامي وعلقت عليه آمال منذ ثلاثين عاما في تفجير « الثورة المباركة » ولم يخب ظنى في شباب ذلك العهد ، فقد قامت بالفعل تلك الثورة والقائمون بها شباب • وأنا اليوم شيخ مرشح للموت في أى لحظة ولامطمع لى ولا امل في شيء • وكان الاجدار بي ان اجلس مستريحا انتظر النهاية في هدء فما الذى يدفعني الى كل هذا الذى أفعله الآن • انه ولاشك وضـع خاص بي أجد نفسي فيه : هو انني المتنبيء والداعي الى « الثـورة المباركة » وكان على أن أجيب عن هـذا السؤال ، هـل حققت هـذه الثورة المباركة كل الآمال والاحلام التى كان ينتظر منها أن تحققـه للوطن ؟ •• لذلك كتبت « عودة الوعى » يوم مرور عشرين عاما على قيـام هذه الثورة » .

•• ويبدو أن هذه المقالة استفزت الاستاذ أحمد بهاء الدين •

فكتب هو الآخر مقالة فى نفس العدد بعنوان « ملف » عبد الناصر قال فيها عن ناصر :

« سوف يبقى كبيرا ، بعد أن يختفى كل الذين هاجموه والذين عاداهم أو صادقهم • ولقد تعرض لهجمة شرسة ولما تمضى على رحيله سنوات قليلة • هجمة لا هى بالنقد ولا هى بالتقييم والتحليل •• لأن النقد والتقييم والتحليل أمور واجبة ، لكى نعرف تاريخنا وماذا حدث فيه ، وحاضرنا وماذا نفعل به ، ومستقبلنا وكيف نسلك الطريق اليه » •

كما قال • وببنط كبير :ـ

« ويطالب البعض « بفتح الملف » ؟ •• »

ويكمل ببنط أقل :ـ

« ولم لا ؟ •• أنه لشيء مفيد حقا •• وهو امر واجب ، أمر لاينقضى فى الشعوب الحية أبد الدهر » •

ويختتم بهاء مقالته بالقول بالبنط الكبير أيضا :ـ
« فمرحبا بفتح الملف • بشرط فتح كل الملفات ! » •

•• ويبدو كذلك أن اصرار توفيق الحكيم على حملته دون أن يوضح موقفه من الحملة التى تقودها الرجعية ضد عبد الناصر ، ودون أن يوضح أنه شيء مختلف عنهم تماما ، بل ودون أن يدافع عن المبادىء التى زعم أنه طالب بها منذ الاربعينات فى وجه الحملة الشرسة التى أرادت اقتلاع كل شيء ايجابى •• بشكل مثير للدهشة •• يبدو أن ذلك الموقف الغامض منه اسقط كل التحفظات التى أراد بعض المثقفين الاحتفاظ بها • فقد كان هناك من يرون ضرورة التفريق بين الحكيم وبين مصطفى وعلى أمين وصالح جودت • وضرورة جذبه لمعسكر الثورة حتى لايكون فريسة للرجعية ، وحتى لاتستفيد منه هذه الرجعية فى حملتها الصليبية ضد القوى التقدمية الا أن الحكيم لم يبد من جهته أى حرص على توضيح الخلاف بينه وبين معسكر الرجعية وقادة الحملة ، وبالتالى فقد أصبحت مواجهته بشكل أكثر صراحة عملا لايحتمل التأخير •• ويبدو أن مجلة الطليعة قامت بعملية هجوم موفقة ومؤثرة فى آن واحد • اذ قامت فى عدد اكتوبر ١٩٧٤ ، بنشر كلمة توفيق الحكيم التى كتبها فى الاهرام

فى ١٩٧٠/١٠/١ وهى بعنوان « تمثال لعبد الناصر » يطالب فيها باقامة تمثال لناصر ويدعو للتبرعات الشعبية لاقامته . وتبرع هو بخمسين جنيها . . ويبدو ان الحكيم قد احس بالخطر على مركزه ، وبأن هذا المركز المرموق يتعرض للتآكل المستمر . . الأن الطليعة نشرت كلمته « تمثال لعبد الناصر » وكلمة من كتابه « عودة الوعى » يهاجم فيها عبد الناصر . وفى الصفحة المقابلة نشرت قصيدة كان صالح جودت قد كتبها يبكى فيها ناصر ويرثيه فى مجلة المصـــور بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٩ ، ويقابلها كلمته التى هاجمه فيها بقسوة فى المصور أيضا بتاريخ ١٥ مارس ١٩٧٤ تحت عنوان « على من أطلق الرصاص » وكانت الطليعة قد كتبت مقدمة صغيرة جدا قالت فيها : « ما أشبه الليلة بالبارحة واليوم تتحرك بعض القوى حركة مضادة لهذه التجربة متصورة أنها من الممكن أن تستمر فى حياتها المميزة دون ان تكشف قوى الثورة المصرية القناع عن زيفها . وهكذا فان الطليعة تقدم مثالين من عشرات الامثلة لكاتبين كل منهما يرفع راية باســـم « الديمقراطية » ضـــد التراث الوطنى الذى تركه لنا عبد الناصر » .

.. ولا أعلم أن كان هذا الخبيث الذى كتب المقدمة واحضر صـــالح جودت بجانب الحكيم قد قرأ ماكتبه الاول عن توبة الثانى أم انها الصدفه هى التى لعبت هذا الدور ؟ . وعلى كل حال فقد كان اختيارا دراميا . اذ اجتمع « القسيس والتائب » فى صفحتين متقابلتين .

.. أقول أن توفيق الحكيم احس بالخطر ، فأراد أن يتملق اليسار الماركسى بوجه خاص لانه اشتكى الى البعض من أن الشيوعيين يريدون تدميره ! فأسرع بنشر حوار مع الناقد عبد الرحمن أبو عوف فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩٧٤ - أراد فيها شق صفوف اليسار . وقال فيها كذلك أنه يعتبر نفسه من المسئولين عن الاشتراكية المصرية . وقد لمح الى خوف اليسار من استغلال الرجعية لعملية نقد عبد الناصر . وبرأ نفسه من أنه لايريد عودة الماضى .

.. ولكن الذى أصابنى بالحيرة هو ، لماذا يستمر الحـــكيم بعناد يثير الدهشة - فى موقفه بعدم مهاجمة الرجعية وخاصة بعد أن أعلن اشتراكيته المصرية وعطفه على الماركسية ؟

.. اننى أتعجب من هذا الموقف ولا أجد له تبريرا .

•• وفي النهاية • فان الاستاذ توفيق الحكيم قد مارس النقد ضد عبد الناصر ، ورفض ممارسته ضد الرجعية ، وهو يعلن أنه تنبأ بالثورة وطالب بها •• ولكنه يسكت عن التصدى للقوى التى تدين الثورة ككل وتريد عودة مصر الى ما كانت عليه قبل الثورة•• وهو يهاجم من تعرضوا لمناقشة آرائه ولم يتخذ نفس الموقف حيال من هاجموه قبل ذلك واعلنوا أنه تاب وندم على أيديهم ولهذا قبلوا مصافحته ؟

•• وبعد ذلك • اليس من حقنا أن نسأله •• واين تقف ياسيدى بعد ذلك وكيف نفسر موقفك الا بأنه تدعيم صريح للرجعية •

التفسير الملكى للتاريخ

« فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض ، قالوا انما نحن مصلحون »

« صدق الله العظيم » ـ سورة البقرة

.. أوائل عام ١٩٧٥ ، أصدر الدكتور أحمد شلبى (١) كتابا بعنوان « حرب ٦٧ ـ ٧٣ ، دراسة مقارنة لابراز اسباب الهزيمة ودعائم النصر » .. وعن الكتاب ، يقول المؤلف في مقدمته :

« هذه دراسة علمية تاريخية قصدت بها خدمة بلادى ، واشهد الله ان الانصاف كان رائدى فى كل كلمة كتبتها ، وهى أمانة المؤرخ ، يؤديها لهذا الجيل والاجيال التالية » .

.. وبعد ان ينتهى المرء من قراءة هذه الدراسة العلمية التاريخية يدرك على الفور . أنها ليست كذلك . وأن الانصاف لم يكن رائده بالمرة على الرغم من أنه أشهد الله على ذلك . ثم أنه افتقد أمانة المؤرخ الواجب توافرها فيمن يتصدى للتاريخ . وأما قوله : أنه قصد خدمة بلاده .. فهذا مالا نستطيع منازعته فيه . فهو بالتأكيد كان يقصد خدمة بلاده . ولكن من وجهة نظره الخاصة ورؤيته السياسية .

.. يقول الدكتور أحمد شلبى ص ١٢ :

« وأنا أيضا أكتب عن الماضى والحاضر باتجاهى الخاص كمؤرخ فاعرض الوثائق والاحداث ، وأمهد لها وأعلق عليها ، فأكون بذلك نمطا جديدا ، وان اتفقت فى الهدف مع الآخرين » .

.. وأما الآخرين الذين يقصدهم ويتفق معهم فى الهدف والذين اشار اليهم فى مواضع سابقة فهم الدكتور ابراهيم عبده ، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ فى روايته الكرنك ، وموسى صبرى .. وصالح جودت .. الخ . ويبدو أن الدكتور شلبى قد أحس من البداية ان علمية وموضوعية الكتاب لن تجوز على أكثر القراء سذاجة . فأخذ يركز على أنه علمى ووثائق فى أكثر من موضع ليزيل الشك من نفوس القراء .. يقول فى ص ١٠٦ : «وأنا هنا أقدم دراسة علمية»

---

(١) استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ الناشر مكتبة النهضة .

.. وفى ص ١٣١ يقول : —

« وقد اعتمدت على الوثائق الدقيقة ، وعلى آراء المختصين فى كل ماعرضت من أفكار ودراسة » .

.. فما هى الوثائق ، ومن هم الخبراء والمختصون الذين اعتمد على آرائهم ؟ .

الوثائق التى اعتمد عليها هى كتاب « رسائل من نفاقستان » وكتاب « الوسواس الخناس » للدكتور ابراهيم عبده . وكتاب « عودة الوعى » لتوفيق الحكيم ، ومقالات صالح جودت التى وصل ايمانه بها الى حد الاستشهاد بمعظم فقراتها وكأنها القول الفصل .. ثم ماظهر فى جريدة الاخبار — دون الجرائد الاخرى — من مقالات وأخبار والى كتابات موسى صبرى .
.. ان الوثائق التى يعتمد عليها هى « أحط » وأضعف كتابات اليمين . ولهذا فان الدكتور لم يضف جديدا بالمرة ، اللهم الا زيادة حجم الشتائم لعبد الناصر . وذكر اسمه صراحة — جمال عبد الناصر حسين — وفشل فشلا ذريعا فى اخفاء اتجاهاته اليمينية المتخلفة وفقدانه للنظرة الموضوعية . التى حل محلها حقد مجنون أو مفتعل ، ضد ناصر ، وضد ثورة يوليو . لدرجة أنه أعلن — بثقة المؤرخ الموضوعى .. ان ماجاءت به الثورة باطل فى باطل ، ولم ينتج عنها أى خير للشعب المصرى . وأن محصلتها هى الخراب والاسى والمصائب والامر المحير هو . كيف سمح لنفسه . بأن يكون « شخص » كصالح جودت — بالذات — مصدرا يعتمد عليه فى آرائه ؟ وكيف يقبل على نفسه — كاستاذ جامعى مؤرخ أن يكون كتاب « نفاقستان » و « الوسواس الخناس » مصادر له ؟ ..
.. اننا ازاء فرد آخر ، أراد ركوب الموجة التى اعتقد أنها رابحة ولكنه جاء اسوأ من أقرانه . لانهم لم يزعموا لانفسهم ولكتاباتهم صفة الانصاف أو التاريخ الموضوعى .

.. فكيف يقيم الكتاب ثورة يوليو ؟ ..

يقول فى ص ٧٦ :
« انها فى الحق فترة مريرة بالنسبة لبلادنا . فترة الستينات . نذكرها لاجئين الى الله ان ينتقم ممن انزلوا بأهلينا الضر ، وممن كانوا حربا شرسة على المواطنين ، وقوى تجيد التخطيط للنيل منهم ،

وفي نفس الوقت كانوا ينهارون أمام خطط أعداء الله ، اليهود ، فهم بذلك يمثلون قول الشاعر : « أسد على وفي الحروب نعامة » .

وفي ص ٨٥ :
« وما أضعف جيشنا كذلك ما اسموه كسر احتكار السلاح ، ولم يكن ذلك في الحق كسرا لاحتكار السلاح ، وانما كان تحولا من جانب الى جانب » .

وفي ص ١٠٦ :
« وأنا هنا أقدم دراسة علمية لكل ماقيل عنه انه مكاسب الثورة ، وكم كنت اتمنى أن تكون لها مكاسب حقيقية ، تتلاءم مع العشرين سنة الماضية التي خطا العالم خلالها أوسع خطواته في مختلف الميادين وحقق اعظم المعجزات » .

وفي ص ١١١ .
« ان اشتراكية عبد الناصر كانت نمطا وحدها ، ولذلك قدر لها ان تكون قصيرة العمر وان تعود الدولة الى سياسة الانفتاح ، والى الديموقراطية الحقة » .

وفي ص ١٢٠ :

« وان سياسة عبد الناصر جلبت لنا الاحتلال الاسرائيلي اللعين ، وان عبد الناصر حاول جهده ان يؤثر في السودانيين فأرسل عضوا بمجلس قيادة (١) الثورة ليرقص في حالة عرى بالسودان ، ودفع ملايين الجنيهات ليؤثر على سير الانتخابات . ولكن ذلك كله بدون جدوى . بل ربما كان هذا التدخل هو السبب في الانفصال . وقد كانت ملايين الجنيهات المصرية التي انفقت في الحملة الانتخابية بالسودان من الاسباب المبكرة لتدهور اقتصاد بلادنا الحبيبة » .

وفي ص ١٢١ :
« في موجة عاطفية قوية هلل الشعب لتاميم القناة ولم يكن يدور في خلد أحد أن ذلك سيجلب علينا الدمار » .

وفي ص ١٢٢ ـ ١٢٣ :

---

(١) يقصد صلاح سالم .

« أما أن نصنع من الابرة الى الصاروخ فهذا هو الخطأ الفادح • فلا الابرة المصرية نجحت ، ولا يستطيع أحد ان يخيط بها شبرا واحدا ، وهى كالدبابيس ترتد لليد التى تستعملها بدل أن تخترق القماش أو الورق • أما الصاروخ المصرى فقد ظل فى حرب ١٩٦٧ ، صامتا هادئا بدون حركة أو نشاط • وعندنا مصانع للسيارات اسمها « مصانع النصر » تيمنا باسم عبد الناصر • وأنا وسواى من الناس نرى سيارات « فيات » تحملها اللوريات وتخترق بها شوارع القاهرة قادمة من ايطاليا لتصل الى شركة النصر لصناعة السيارات • وبعد قليل تخرج هذه السيارات كأنها صناعة مصرية !!! وتلك خديعة لاتليق • بل انى أرى – ويرى معى الناس – سيارات كبيرة عليها « مصانع الطائرات » ، ولابد أن فى هذه المصانع مهندسين ومجلس ادارة ورئيسا لهذا المجلس • ولكننا لم نر بعد طائرات مصرية • وربما لن نراها فى المستقبل القريب ، وعلى هذا فأغلب مايقال عن الصناعة زيف فى زيف » •

•• وفى ص ١٣٠ – ١٣١ :

« وبمناسبة الحديث عن المدارس أحب أن أقول للذين ينسبون لعهد عبد الناصر أنه جعل التعليم بالمجان • ان التعليم بالمجان بدأ قبل الثورة حينما قال طه حسين فى حكومة الوفد ان التعليم كالماء والهواء • ثم ان مجانية التعليم هى شعار العصر فى كل الاقطار » •

•• ثم يعدد الكاتب محاسن عبد الناصر ، ولم تخرج كلها عن زيادة الامية • واستمرار تخلف القرية المصرية وسوء المواصلات • بل وحمل عبد الناصر أسباب تلوث مياه الحنفيات • وانفجار مواسير المجارى وانقطاع الكهرباء • بل وزعم ان الصناعات التى كانت قائمة وناجحة قبل قيام الثورة • تدهورت بفضل بركات عبد الناصر •

يقول فى ص ١٣٣ :

« كانت عندنا قبل الثورة صناعات ناجحة انتكست كنكسة يونيو سنة ١٩٦٧ ، ومن هذه صناعة الصابون والزجاج والعطوز والجلود وغيرها » •

ثم صرخ بأعلى صوته فى ص ١٣٤ :

« لقد قضى عبد الناصر على أسم بلادنا التاريخى (مصر) وسماها الجمهورية العربية المتحدة » •

٠٠ وأخيرا يوجز ويلخص تقييمه للثورة في موضعين رئيسيين ٠٠ يقول في ص ١٣٦ ـ ١٣٧ :

« وأريد في ختام هـــذه اللمحات أن أقرر ما أشرت له من قبل ان العشرين سنة الماضية حقق فيها العالم أروع انتصـــاراته ، وتقدمت البشرية خلالها أوسع خطواتها ، وينطبق هذا الكلام على العالم أجمع بنسب مختلفة ، ولكن مصر كانت وحدها التي تراجعت شوطا بعيدا خلال هذه العشرين سنة ، وليس ذلك تشاؤما ، وانما هو حقيقـــة ، وقد عاش جيلنا الفترة الاخيرة التي سبقت عهد الثورة ، وحاربنـــا ملوكها وصفقنا للثورة بحرارة ، ولكن للاســـف كان رغيف ماقبل الثورة أنقى وانصع بياضا من رغيف عهد عبد الناصر ، وكان المجتمع المصرى أشد أمنا ، ومثل هذا يقال عن المواصلات والطرق ، بل عـــن الاخلاق والقيم ٠

لماذا تقدم العالم وتراجعنا ؟؟

سؤال يتحتم ان نتدارسه ، ونعرف أسبابه بصدق ، ونزيل هذه الاســـباب لنعوض مافاتنا ، ونحن نؤمن أن ذلك ممكن ، ويوم نفعله سنأخذ مكاننا الطبيعى بين الشعوب » ٠

٠٠ ويفترض الدكتور أن ماقاله هو الحق ٠ وشـــهادة مؤمن منزه منصف ٠ فيختتم تقييمه بتساؤل للشباب :

« وبعد ، هل لايزال هذا الجيل مضللا بعد هذا البيان القصـــير المرير ؟؟ » ٠

٠٠ أما تقييمه في الموضـــع الثاني ٠٠ فجـــاء في باب « الثورات المصرية في العصر الحديث وما حققته من أهداف » ٠ تحدث فيه عـــن عدد من الثورات التي حدثت في مصر ، وعن نتائجها ٠ فالثورة الاولى هي ثورة العلماء المصريين الذين رفضوا تعيين تركيا لخورشيد باشـــا واليا على مصر ونجحوا في تنصيب محمد على بدلا منه ٠ وهي ـ أي الثورة ـ أبرزت الارادة المصرية وأعلنت الشخصية الاسلامية وقـــد حقق محمد على وحفيده اسماعيل كثيرا من الامجـــاد الداخلية » ٠ وكانت الثورة الثانية ، هي ثورة عرابي ، ولكن لم يقدر لها النجاح ٠ والثورة الثالثة جاءت بقيادة مصطفى كامل والحزب الوطنى ، ولكـــن عوامل كثيرة أضعفت صـــوتها ٠ وهبت الثورة الرابعة في ١٩١٩ ، بقيادة سعد زغلول ٠ وكان من نتائجها اعمال كثيرة في الداخل مثل صدور دستور وتكوين برلمان ونهوض البلاد فكثرت المدارس وانتشرت

الجامعات . ونظم الري والصرف وتم بناء قناطر نجع حمادي ووجهت عناية كبرى للزراعـــة . وانشيء المتحف الزراعي » . وفي المجـــال السياسي صارعت هذه الفترة الاحتلال البريطاني صراعا لا هـــوادة فيه والغيت معاهـــدة ١٩٣٦ ، منعت العمال المصريين من العمل في المعسكرات البريطانية بالقناة وأوجدت لهم وظائف بديلة ، ومنعت عن الجيش المحتل كل خـيرات البلاد وكان ذلك من الاســـباب التي أضعفت شأنه . وهكذا حققت هـذه الثورة ألوانا من النجـــاح في ميادين متعددة » .

.. ثم جاءت ثورة ١٩٥٢ .. فماذا حققت من وجهة نظر الدكتور المؤرخ ؟ .. يقول :

« وصفق الناس لهذه الثورة ، فقد كان برنامجها يعبر عن آمـــال الشعب وامانيه ، ومر الزمن حتى سنة ١٩٧٠ ، حينما انتهت حياة الرئيس جمال عبد الناصر ، وإذا وضعنا هذه الحقبة في الميزان يتبين لنا أنها كانت حقبة تعمق فيها الاسى والضر ، وتعرض الشعب خلالها لالوان من الآلام والهوان » .

.. وهكذا وفر علينا الدكتور أحمد شلبي مشقة مناقشة أفكاره . واستنتاجاته أو محاولة تأويلها وتحليلها . وليس لنا اعتراض الاحول ادعاؤه بالانصاف بأنه يؤرخ لفترة تاريخية معتمدا على الوثائق وآراء الخبراء . فهذه كذبة ماكان يليق به كأستاذ جامعي أكاديمي أن يلجأ اليها .. اما آراء الدكتور وميوله واتجاهاته التي تحكمت في كتاباته فهذا حقه ... فمن حقه أن يصور عهد الملك فاروق بأفضل من عهـد الثورة . ومن حقه أن يعتبر ان الثورة منذ قيامها لم يكن لها حسنة أو عمل ايجابي واحد . وأن كل أفعالها شر . وأدت الى تدهور أحوال البلاد عما كانت عليه قبل ١٩٥٢ ، وبالتالي فمن حقه أن يتحسر عـلى رغيف الملك فاروق الابيض . وأن يلعن عبد الناصر لرغيفه الاسود . ومن حقه كذلك ان ينعي الصناعات المصرية التي تدهورت على أيدي الثورة التي لم تكتف بذلك ، وانما انشأت لنا صناعات فاشـلة .. وأخيرا من حقه أن يصور « الثورة » كأنها مؤامرة ضد مصر لم تعرف النكبات المآسي الا تحت حكمها .

.. لكن ماليس حقه ـ وأظنه يوافقنا على ذلك ـ ان يزعم أنه يؤرخ لفترة تاريخيـــة ويســـجل أحداثها . لانه في الحقيقـــة مزيف كبير للوقائع . وكان عليه الا يقحم مواقفه الفكرية وآراءه السياسية ، في

عملية تأريخ لواقع ولاحداث يجب ان يسجلها كما حـدثت بأمانة ، مثلما يفعل اى مؤرخ فى الدنيا ، ثم يعطى تفسيرا وتوضيحا للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدولية التى كانت تحيط بكل مرحلة ، أو بكل حـــدث •• كما كان عليه أن يورد مقالات الكتـاب الذين تصدوا للحملة المعادية لعبد الناصر وللثورة ودافعوا عنهــا والذين ردوا على الكتاب الذين استشهد بهم وكلها منشـــورة فى الصحف ولابد أنه قرأها ووقعت عيناه عليها مثلما وقعت على مقالات صالح جودت وغيره ، وعلى كتب الحكيم وابراهيم عبده ! وبعد ذلك عليه أن يقول رأيه ••• أما أن يلجأ للكذب ولنكران كل شىء والاعتماد على مقالات تافهة كتبها بعض الموتورين لتكون مصادره التاريخية •• فهذا أمر شاذ ، ولم تجر به العادة مطلقا ، الا فى الحالات التى يلجـأ فيها البعض الى عمليـــات تزييف التاريخ لحســاب بعض الامــراء والسلاطين • وهذه ظاهرة عرفها تاريخنا العربى والاسلامى ومن سوء حظ الدكتور أنه يتحدث عن فترة عاصرناها جميعـــا ، من الالف الى الياء •• فما كتبـــه الدكتور ليس تاريخا • وانما عملية تشــويه مقصودة ، وغير نظيفة ، بالاضافة الى أنها ساذجة وسخيفة ، واذا كان يريد أن يدخل معترك السياسة والحياة الفكرية والسياسية فليدخلها عن طريق آخر ، غير التأريخ الذى يفترض الامانة والدقة والاعتمـاد على الاحداث كما وقعت وعلى الارقام والاحصائيات • والبعد عـــن الاهواء الشخصية والميول الخاصة •

مع الاقطاع والملك

•• لقد كان من الضرورى أن يقع الدكتور فى المحظور الذى حاول تفاديه ، وهو كشف حقيقة أهدافه وآرائه • ففى ص ١٢٢ ــ ١٢٣ • وفى باب « الاصلاح الزراعى » •• قال :

« مامعنى الاصلاح الزراعى ؟ »

هل هو فقط تحديد الملكية وتمليك الفلاح عـــدة أفدنة من أرض مالك كبير أو ان للاصلاح الزراعى مفهوما أدق وأسمى ؟

ان المفهوم العلمى للاصلاح الزراعى يســعى لتحقيق الاهــداف التاليـــة :

ــ العمل الكادح المثابر لاستصـــلاح مزيد من الاراضى لضم مساحات جديدة من الأرض البور الى الاراضى المنزرعة .

ـ رعاية التربة فى الاراضى المنزرعة بتحسين الصرف وانتـــاج المخصبات بأرخص الاسعار •

ـ تنظيم الدورات الزراعية ومحاولة الاكثار منهـــا بدون ارهاق للتربة •

ـ حسن اختيار البذور ذات المحصول الجيد والوفير •

ـ الرقى بوسائل « الفلاحة » وذلك بالقضاء على المحراث والطمبور والشادوف والساقية التى انحـدرت من عهد خـوفو الى الوســائل الزراعية الحديثة التى انتجها العقل البشرى ، فوفرت جهد الانســان والحيوان ، وضاعفت دخل الارض •

ـ ويدخل فى مفهوم الاصــلاح الزراعى الحديث الاهتمام بالانتاج المتصل بالارض • كأنشاء مصانع لتعليب الخضر والفاكهة حيث تكثر أنواع معينة من الخضر والفاكهة •

ـ ويدخل فى الاصــــلاح الزراعى كذلك الاهتمام بتربية العجول والابقار للانتفاع بلحومها وجلودها والبانها مما يســــتتبع انتـــاج الاعلاف والاكثار من معامل الالبان ومستخرجاتها ، ومصــــانع دبغ الجلود •

ـ ويدخل فى الاصلاح الزراعى كذلك تربية الدواجـــن للانتفاع بلحمها وبيضها •

ذلك هو الاصلاح الزراعى كما عرفه الفكر الحديث ، ولكن عهــد عبد الناصر اكتفى بأن جعل الاصلاح الزراعى لايزيد عن أخذ الارض من كبار الملاك لتوزيعها على صغار الملاك » •

•• اذن فمن ضمن خطايا عبد الناصر أنه أخذ الاراضى من كبـار الملاك ليوزعها على المعدمين • متخليا بذلك عن مفهوم الاصلاح الزراعى فى الفكر الحديث ! ويلاحظ ان الدكتور لم يوضح لنا ماهو هــذا الفكر الحديث • وأى اتجاه ومدرسة ينبع منها هذا الفكر الحديث فى الاصلاح الزراعى ، الذى يستبعد توزيع أراضى الاقطاعيين عــــلى الفلاحين المعدمين ؟ لقد عدد الدكتور أهدافا كثيرة للاصلاح الزراعى • ابتداء بتحسين الصرف وانتهاء بتربية الفراخ دون أن يذكر انهــاء الاقطاع أو توزيع الاراضى على المعـدمين •• وكان يجب أن يســـال نفســـه • اذا كانت عائلات قليلة تمتلك غالبية الاراضى الزراعة • وغالبيــة الفلاحــين معدمين ، فمن الذى يســتفيد بتنظيم الدورات

الزراعية وتحسين الرى والصرف • ومن الذى لديه الامكانيات ليربى العجول والفراخ • ويقيم مصانع التعليب ؟ •

ألا يدعو الدكتور بذلك الى أن واجب عبد الناصر أن يزيد من ثروة الاقطاعيين ؟ ولكن ناصر لم يفهم الاصـــلاح الزراعى كما عرفه فكر الدكتور الحديث ! •

•• فى ص ١٣٥ •• قال :

وهناك صورة صوتية يرددها الناس • وهى ترتبط بآخر ثلاثة حكموا مصر :

فاروق ـ عبد الناصر ـ السادات • وتقول هذه الاصوات :

لقد طردت مصر فاروق وزوجته وأولاده وصادرت قصـــوره واملاكه ولكن هؤلاء تذكروا مصر وهى تجاهد سنة ١٩٧٣ ، وبعثوا ببعض المال • واشتركوا فى مظاهرات بأوربا لتأييد مصر •

وتقول هذه الاصوات عن اسرة جمال عبد الناصر :

أن الدولة تصرف لها مرتبات الرئيس ومخصصاته ، على الرغم من أن كثيرا من أولاده تخرجوا وتزوجوا وهيئت لهم وظائف سخية وعلى الرغم من أنهم لايزالون يعيشون لا أقول فى قصر ، وانما فى شارع خاص بهم بقصوره وحدائقه وبما يصل له الخيال ومالايدركه الخيال ، ولكن هؤلاء لم ينشر عنهم انهم اشتركوا بطريق ما فى حومة الوغى ، ولم يقدموا قرشا واحدا للدماء والارواح التى لاقت ربما والتى تستعد للقاء •

وتصل الاصوات الى الرئيس السادات فتذكر أن الرجل يبذل طاقة أكبر من طاقة البشر ليعالج أمراض البلاد ، وان أخاه كان من شهداء الحرب ، وأن زوجته خرجت تكدح وتجاهد فى سبيل الوطن وفى عدة مجالات ، وكان خروجها حافزا لآلاف من السيدات المصريات للخروج ابان المعركة وبعدها للقيام بدور اجتماعى عظيم ، وبنات الرئيس خرجن وغسلن الاطباق بالمستشفيات ، وبذلن كل مافى وسعهن لخدمة الوطن والمعركة • ونحن نسجل هذه الاصوات بدون تعليق » •

•• فاذا كان الدكتور يكتفى بالتسجيل • دون التعليق فهو فى حقيقة الامر قد قال مايريده ، وعلق التعليق الذى تشـــتهيه نفسه • ونحن نعلق بدورنا على هذه الصورة التى نقلها • بأنه ليس غريبا على من يتحسر علنا على أيام الملك فاروق وارغفته البيضاء •

ومن يعتبر أن عبد الناصر وثورة يوليو لم تفعل شيئا · الا تخريب منجزات عهد فاروق العظيمة · ومن يهاجم عبد الناصر لأنه أخذ الاراضي من كبار الملاك ليوزعها على المعدمين ·· القول ليس غريبا على من يقول بكل ذلك · أن يضفي البطولات على بقايا وذيول أفراد الاسرة المالكة · وكان من الأولى به أن يطالب بعودتها لحكم مصر من جديد ·· لان هناك حاكما ظالما سلبها حقوقها وطردها من مصر !!

اتهام صريح لناصر

··· يعتبر الدكتور احمد شلبي ، اول من هاجم عبد الناصر مباشرة ودون التواء · وحدد اسمه · لدرجة أنه كان يذكر الاسم ثلاثيا ـ جمال عبد الناصر حسين ـ (١) وهذه شجاعة منه ، أنه كان صريحا وواضحا ، وصب اللعنات على رأس ناصر دون مواربة ، وحمله كل شيء ، وهو مالم يفعله غيره من المنتقدين والمهاجمين ، كما أن هجومه أتسم بالعنف والشدة · ففي ص ١٠١ يقول :ـ

« وهكذا بينما نجد اجماعا أو على الأقل شبه اجماع من الاساتذة ومن جيلهم على انتقاد عهد عبد الناصر والشعور بمرارته وبأنه سبب مانعاني من احتلال يهودى ، وحرمان اقتصادى واضطراب في المرافق والنفوس » ·

·· وفي ص ١٠٢ :

« فأذا وصل هؤلاء الى المدارس الاعدادية ، وجدوا تاريخا مزيفا يملأ عليهم حياتهم ويقرر لهم مجد عبد الناصر في كل علم يطرقونه ، ففي مواد اللغة العربية اصبح عبد الناصر موضوع المحادثة والمطالعة والانشاء ، وفي التاريخ بدا عبد الناصر الخالق الأوحد لتاريخ مصر ، وفي العلوم ظهر عبد الناصر مصنع البلاد ، وازدانت المدارس بتماثيله وصوره في كل مكان وكل اتجاه فاذا وصل هؤلاء الى المدارس الثانوية والى الجامعة وجدوا مواد تنتظرهم لتوثق في نفوسهم حب عبد الناصر » ··

---

(١) هذه الشجاعة لم يصب بها الدكتورالا الآن فقط ، وفي عام ١٩٧٢ سافر الى ليبيا بدعوة من الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا لالقاء عدد من المحاضرات ولم يكن له هم الا السؤال عن ثمن المحاضرات كماكان يمدح ناصر كثيرا ·

•• وفى ص ١٤٣ قال :
« فلقد كان عبد الناصر قاسيا على المصريين ومدمرا لحياتهم »•
•• وفى ص ١٥١ •• قال :

« ونقطة أخرى وقع فيها أكثر الكتاب سيرا وراء جمال عبد الناصر حسين ، فقد كان هو أول من نسب الاخطأ والخطايا التى نزلت بمصر الى مصدر اسماه « مراكز القوى » أو « مراكز النفوذ » ولم يحدد شخصا أو أشخاصا ينطبق عليهم هذا التعبير ، ونحن نسأل : لمصلحة من ننسب ماعانيناه من كوارث الى مصدر مبهم ونحن نستنكر أن نتستر على مجرم فى حق الوطن ، وندعو الكتاب الى الكف عن هذا التعبير الزائف • وسؤال آخر ، هو أين مراكز القوى الآن بعد جمال عبد الناصر ؟ •• والاجابة انها انهارت أو على الاقل ضعف فى عهد أنور السادات•• ومعنى هذه الاجابة أن مراكز القوى كانت معروفة ، وأن القضاء عليها أو تقليم أظافرها كان ممكنا ولذلك نسأل : لماذا لم يفعل جمال عبد الناصر ما فعله أنور السادات ليتخلص من أعوان السوء ؟ ولا يبقى بعد هذا الا الاعتقاد بأنها كانت تعبيرا عن هواه ، وامتدادا لنفوذه » .

•• ويقول أيضا :

« وقد أعلن جمال عبد الناصر بوضوح أنه المسئول عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وعن غيرها من المشكلات ، ولست ادرى بعد ذلك لماذا يلف الباحثون ويدورون دون أن يسيروا فى الطريق الواضح المستقيم ، ودون أن يحددوا المسئول عن الخير وعن الشر ، وهو واضح لكل عين ترى وعقل يفكر ، أما مراكز القوى التى يتحدثون عنها فقد كانت تدور فى فلكه ، وتعمل بتوجيهه ، وعندما أراد كشف مفاسد بعضهم كشف ذلك، ولم تستطع هذه المراكز أن تفعل شيئا • فلنقلها كلمة صريحة لوجه الله والتاريخ : أن جمال عبد الناصر حسين هو المسئول عن أحداث عهده ، وهذه الفكرة هى التي تحمى حاضرنا ومستقبلنا ، وهى التى نضعها أمام كل رئيس فى كل زمان وفى كل مكان ، دون أن نخلق تعبيرات زائفة تعطى فرصة للتقليد والانحراف ، بالتالى للرزايا الكوارث » •

الأخوان والاتحاد الاشتراكي

.. حين تصنف مؤلف الكتـــاب بأنه يميني ، ومتخلف ، وأنه لم يراع الانصاف والحيدة في عملية التأريخ ، التى كانت تشويهـــا وتزييفا فليس ذلك مبررا لتخطئة كل مايقوله ، والحكم عليه بعـــدم الصحة لانه يوجه انتقادات ويتعرض لبعض الاخطاء الحقيقية التى لايسعنا الا أن نتفق معه فيها . لان النكران أو المكابرة ستقودنا الى نفس الموقف الذى نعيبه عليه ، أى أننا سنبتعد بدورنا عن الانصاف والموضوعية حينما ننكر ماكان موجـودا من أخطاء ومصـــائب .. فالدكتور أحمد شلبى يهاجم مسألة وضع غير الاكفاء فى مناصب لايعلمون عنها شـيئا .. وهذا حـدث . وهو صـــحيح . ويهاجم عمليات التعذيب الوحشية ويندد باعدام الاستاذ سيد قطب (١) . وهذه مسائل تستحق ان نشاركه فى استنكارها .. فاعدام الاستاذ سيد قطب وغيره من الاخوان المسلمين الذين اعدموا ، عملا خاليا من الرحمة ويتميز بالقسوة المبالغفيها ، وكان يمكن سجنهم على اعتبار انهم خصوم سياسيون يناهضون نظام الحكم أو ينشئون تنظيمـــــا محظورا .. خاصة وان هذه القسوة لم تظهر أو تســـتخدم مـــع العســـكريين الذين كانوا الســـبب فى الهزيمـــة واســـتشهاد عشرات الألوف وضياع آلاف الملايين من الاموال ـ خسائر سلاح ـ بل والذين تآمروا على نظام الحكم للاطاحة به بانقلاب عسكرى .

.. كما يهاجم الدكتور عمليات استغلال النفوذ والاثراء غـير المشروع . وهذا حدث . والمؤلف يهاجم الاتحاد الاشتراكى ويحبذ قيام الاحزاب .. يقول ص ١٢٥ ـ ١٢٦ :ـ

« ماذا رأينا من الاتحاد الاشتراكى حتى نتمسك به ؟
وهل حقيقة هو تحالف لقوى الشعب العاملة ؟

من الواضح أن هذا التحالف تعبير يقال وليس له أى ظل من الواقع فلا المثقف يعرف الطريق اليه ، ولاالعامل ولاالفلاح ولاسواهما وانما هناك ممثلون يختارون ليصبحوا فى البناء الشـــاهق أمراء أو كالامراء ، وفيما عدا هؤلاء فان البناء الفاخر على كورنيش النيل

---

١ ـ من قادة الاخوان المسلمون اعدم عام ١٩٦٥ بعـــد اكتشاف تنظيم سرى للجماعة .

لايستطيع أحد من طبقات الشعب أن يقترب منه ، ولم نر قط أية فائدة من أى نوع من الاتحاد الاشتراكى لقد ظل صامتا طيلة السنين الماضية ، يعيش فى قلاعه الحصينة المنعزلة تماما عن الخارج وحتى عندما هب نسيم الحرية وانطلق أعضاء مجلس الشعب يسـالون ويستجوبون ويقترحون القوانين ، وعندما هبت الصحافة حاملة علم الحرية ، ومعلنة كلمة الحق ، وعندما انطلق المفكرون يكتبون ويتكلمون ، ظل الاتحاد الاشتراكى يغط فى نومه بعيدا كل البعد عن مشكلات الحياة المصرية وعن المساهمة فى حلها » .

وفى ص ١٢٨ يبدى بعض الملاحظات ـ التى يحاول أن يبدو فيها ظريفا ـ عن الاتحاد الاشتراكى كانت ـ كما يقول :ـ

« تخطر ببالى كلما استدعت ظروف قاهرة أن أدخل هـذا البناء ، أو أمر قريبا منه وأولى هذه الملاحظات هى أن رجال المباحث والمخابرات يطوفون حوله دون انقطاع ، ولايسمحون لاحد بالوقوف بجواره أو بارتياده دون صك للمرور ، وكنت دائما أسائل نفسى : هل يمكن أن يكون هذا البناء يمثل قوى الشعب العامل مع أن قوى الشعب العامل لاتقرب منه ولاتدخله ؟ » .

.. ويقول :ـ

« وملاحظة أخرى كانت تراودنى كلما دخلت هـذا البناء ، هى أن صمتا رهيبا يعيش فيه ، وأنه نظيف جدا ، وليسـت به ذبابة واحدة ، والسجاد الفاخر الملقى بطرقه وممراته وحجراته لم تخط فوقه قدم ، وكنت كلما رأيت ذلك انطلقت صرخة فى جوانحى تقول: أن هذا البناء غريب فى بلادنا ، ولا يعكس حياة قوى الشعب العامل وكيف يقال أنه يمثل الشعب العامل مع أنه محرم على هذا الشعب أن يرتاده » .

.. ويختتم رأيه فى الاتحاد الاشتراكى بنبؤة . فيقول :ـ

« وسيرى الناس جميعا أعراض الغالبية العظمى عنه يوم يتحقق مارسمه الرئيس أنور السادات من أن الانضمام له اختيارى ، حينئذ سيصبح هذا الكائن جسما بدون روح » .

تحيا امريكا ويسقط عبد الناصر

« يالها من سقطة أيها المواطنون .. شــملتنا جميعا .. أنا وانتــم .

بينما كانت الخيانة تترعرع فوق رؤسنا »

شكسبير ــ من مسرحية يوليوس قيصر .

في الحديث الذى أجراه لطفى الخـــولى رئيس تحرير مجلة الطليعة ، مع الرئيس انجزائرى هوارى بومدين والذى نشر بالاهرام فى ١٨ آكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٤ ٠ قال بومدين :

« فى يونيو ١٩٦٧ بعد الهزيمة مباشرة قال لى الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتمزق ألما : عرف الامريكان أخيرا أن يصطادونى ويصطادوا مصر » ٠

٠٠ وروى لى أحد الدبلوماسيين العرب ، أن عبد الناصر قال لبومدين أثناء مؤتمر القمة العربى الذى عقد بالقاهرة فى شـــهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ والذى دعى اليه لوقف المذبحة التى كانت تجرى فى الأردن ضد الفدائيين الفلسطينيين ـ قال ناصر لبومدين وقبل أن يعاجله الموت بأيام قليلة :

« أن أمريكا لن تغفر لى ، وستعمل على اذلالى حيا أو ميتا » ٠

٠٠ والذى يتابع الحملة التى شنها اليمين ضـــد عبد الناصر يدرك أنه كان يتنبأ بما سيحدث ٠ ولكنى اعتقد أن خياله ـ رحمه الله ـ لم يكن ليجنح الى تصور أن يقوم بعض المصريون بهذه المهمة نيابة عن أمريكا ٠٠ فقد تعرض عبد الناصر الى حملة شـــعواء من أقلام مصرية لا لشىء ٠ الا لانه تجرأ يوما ما ٠ وهاجم أمريكا واهانها بل وتم توقيت هذه الحملة مع زيارة الســـيد/نيكسون لمصر فى شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٤ ٠٠ وفى حقيقة الامر ، فان الحملة المضادة لعبد الناصر ، بلغت قمتها أثناء الزيارة ، وتم تكثيفها بطريقة تدعو للدهشة والعجب مما يجعلنا نتساءل ٠

هل كان كل ذلك مجرد مصادفة وتوارد خواطر أم أن المسألة ليست بعيدة عن التدبير ؟ ٠٠

٠٠ وسوف نختار هنا ـ ثلاثة نماذج فقط من هذه الكتابات

التى كتبها أصحابها تعليقا على زيارة نيكسون ، وكيف استخرجوا النتائج والمواعظ السياسية والاقتصادية من هذه الزيارة ٠٠ وفى حقيقة الأمر فلم نختار النماذج الا لأنها أكثر ماكتب صراحة ، ودقة فى التعبير عن حقيقة اليمين المصرى ، وحقيقة الحملة التى شنها ضد ناصر — ولأن اصحابها كانوا واضحين بطريقة يستحقوا التهنئة عليها ٠

٠٠ وأول هؤلاء الثلاثة هو الاستاذ صالح جودت ٠٠ وقبل أن يأتى نيكسون الى مصر ، قال أحد الخبثاء « أن صالح جودت سوف يستقبله بقصيدة « عصماء » كتلك التى اعتاد أن يدبجها مدحا فى الملوك والرؤساء ٠٠ ولكن خاب ظن هذا الخبيث ٠ فصالح جودت غير عادته ٠ وبدلا من القصيدة آثر أن يستقبل نيكسون « نثرا » لا « شعرا » ٠

٠٠ ففى عدد مجلة المصور بتاريخ ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ كتب مقالة بعنوان « على هامش زيارة نيكسون ٠ لقد قررت مصر أن تكون مصر » ٠ بدأه بهجوم مباشر على عبد الناصر لأنه هاجم أمريكا فى يوم من الايام ٠٠ قال :

« فى ذروة توتر العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة الامريكية قبل حرب اكتوبر ٠ وقبل المساعى الحميدة التى ارهق الدكتور كيسنجر نفسه فى بذلها لمحاولة اقرار السلام فى المنطقة وحتى فى غفلة الايام التى كان الصوت الأعلى فى مصر يدعو فيها الامريكيين الى أن يشربوا من البحر الابيض ، فاذا لم يعجبهم فليشربوا من البحر الأحمر » ٠

٠٠ ان صالح جودت يشير الى احدى خطب عبد الناصر التى هاجم فيها أمريكا لأنها أرادت أن تفرض ارادتها على مصر ، وتتحكم فيها ٠ لقاء مساعدات القمح وقال أن عليهم أن يشربوا من البحر الابيض ، واذا لم يعجبهم فليشربوا من البحر الاحمر ، ورفض شروطهم لفرض وصاية على حجم الجيش المصرى وعلى سياسة مصر وحين بدأ الامريكيون فى تخطيط وتجهيز عملية حرب يونيو ١٩٦٧ مع الاسرائيليين أطلق « البنتاجون » — وزارة الدفاع الامريكية — على الخطة اسم «الابيض والأحمر» انتقاما لما قاله عبد الناصر عن البحر الابيض والاحمر ٠٠ وصالح جودت يأتى الآن لا ليهاجم عبد الناصر

لأنه أخطأ وتجرأ يوما ما على أمريكا · وقال لهم ذلك · وانما يعتبر وجود عبد الناصر فى هذه الفترة رئيسا للبلاد · أحـــدى الغلطات التاريخية ، وأن هذا الوجود كان فى غفلة من الأيام ، أى أنه وجود غير شرعى ·· لماذا ؟ ·

·· لأنه ليس متصورا ان يوجد زعيم مصرى يرفض محاولات أمريكا للسيطرة على البلاد · أو يتجرأ على تحديها · واذا حـــدث ذلك · فلأن خطأ تاريخى حدث مكن مثـــل هذا الزعيم المتمـــرد من تحدى أمريكا !!

·· وفى عدد المصور التالى بتاريخ ٢١ يونيـــو ١٩٧٤ خطا صالح جودت خطوة أخرى أكثر صراحة · فكتب مقالا بعنوان « فى ذكرى الثورة ، هل تبقى الثورة الى الأبد ؟ ·· قال فى بدايته :ـ

« اليوم الثالث والعشرون من يوليو يقترب · وتعاودنا ذكرى الثورة هذه المرة فى ظروف مختلفة كل الاختلاف عن الظروف التى عاودتنا فيها خلال الاحدى والعشرين سنة المنصرمة ·· ونعـــود الى الحديث عن تقييم الثورة بكل ما اقترن بها مما إصطلحنا على تسميته فى هذه الايام بالايجابيات والسلبيات ·· الايجابيات التى وصلت فى بعض الاحيان الى حد الاعمال الجلائل ·· والسلبيات التى وصلت فى أقل الاحيان الى حد الاخطاء · وفى أكثر الاحيان الى حد الخطايا والجرائم · والتى كانت ذروتها مدلهمه ٥ يونيو التى أهـــدرت الكرامة المصرية والشرف العربى ست سنوات من عمر الزمن ، ومهما يكن من أمر ، فلسنا اليوم فى مقام حساب عن الماضى ، غفر الله له ، ولكننا بصدد الحديث عن المستقبل · مستقبل مصر المأمول حتى سنة ٢٠٠٠ كما وعدتنا ورقة اكتوبر الخضراء » ·

·· والشىء الذى يلفت النظر هو أن يختار صـــالح جودت الحديث عن ثـورة يوليو وذكراها ، قبل حلول موعد الذكرى بحوالى شهر ولماذا لم ينتظر ليكتب فى الاعداد التالية التى توافق الذكرى ؟ وسرعان ما يختفى التساؤل حين نعلم أنه تحـــدث عن مغزى زيارة نيكسون لمصر فى نفس المقـــال ·· فكتب يقول عن اســـتقبال نيكسون :ـ

« وعند هذا الحـــد من الحديث أقف قليلا لاتحدث عن زيارة الرئيس نيكســـون لمصر · لقد كانت هذه الزيارة من الناحيـــة

الشعبية ــ وبكل صراحة ــ استفتاءا كبيرا للشعب المصرى فى أمور كثيرة ومن الناحية العالمية ، هى استفتاء يكشف عن الطبيعة الطيبة لهذا الشعب الذى « ينسى الأســية » بمجرد أن تبدر أمامه بادرة طيبة ٠ وهذا حديث طويل عن العــــلاقات المصرية الامريكية التى حولها ساحر ٦ أكتوبر من اللون الاسود الى اللون الابيض فى غمضة عين ، ولا مجال للخوض فى هذا الحديث الان ولكن العبرة بخاتمته ، العبرة بأن مصر التى تغفر كل شىء قــد غفرت كل مامضى من كل أعماقها الطيبة ، وخرجت والابتسامات على شفاه أبنائها تهتف للرجل الذى جاءها هذه المرة يقلب صــفحة الماضى ويفتح صــفحة الحاضر والمستقبل ، ويتغنى بحضـــــارة مصر ويعدها بعصر من الرخاء لم تشهده منذ قرون طويلة لقد راع الرئيس نيكسون ــ ولاشك ــ أن يركب مع الرئيس السادات سيارة مكشوفة تسير بهما بين هــذه الملايين من المصريين فلا يقع عليه شىء ، الا الزهرة العاطرة والتحية الطيبة والكلمة الحلوة والابتسامة العذبة ، وهو الذى يسير ــ حتى فى بلاده ــ حذرا من خصــــومه واعدائه فى كل خطوة ثم أن هذا الاستقبال الشعبى الزاخر الذى لم يصطنع لأن أحد لايستطيع أن يرسم الابتسامات على شفاه الملايين ــ كما قال الرئيس نيكســون نفسه ــ استفتاء للشعب فيما هو أهم ، انه استفتاء للشــعب فى رغيف عيشه ، وفى لون رغيف عيشه ٠ فى النظام الاقتصادى الذى عاشه منذ قيام الثورة ٠٠ وهل أسعده هذا النظام أم أشــقاه ؟ فى أيديولوجيته ٠ أو على الأصح فى الايديولوجية التى يتمناها لنفسه لحاضره ومستقبله ايمانا منه بأنها كفيلة باسعاده » ٠

٠٠ أظن أنه قد اتضح لنا ٠ لماذا بادر صـــالح جودت بتقييم ثورة يوليو ــ قبل حلول ذكراها بشهر ٠٠ ورفض أن يصبر شهرا ليقول مايريد أن يقوله ٠٠ لأنه أراد أن يربط بين الثورة وبين المعانى التى استخرجها من زيارة نيكسون واستقباله ٠٠ فهو يتحدث عن الثــورة وذكــراها ويقول عن اســتقبال نيكســون انه كان استفتاءا شعبيا على النظام الاقتصادى والايديولوجية التى « فرضت » عــلى الشعب منذ قيام الثورة ٠٠ أى ــ بصراحة ــ أن الشــــعب اختار أمريكا ونظامها الرأسمالى ، وأعلن رفضه للنظام الذى فرضته الثورة عليه فرضا ٠ أى أن ثورة يوليو مفروضة على مصر ، وحدثت ضــد ارادة الشعب الذى كان يريد ويتمنى أن يعيش تحت ظل نظـــــام راسمالى ملكى مرتبط بأمريكا ٠

·· وصالح جودت فسر استقبال الشعب لنيكسون كما يحلو له ·· فهو دليل على أن الشعب المصرى يرفض النظام الاشتراكي ويرفض الثورة ـ ثورة يوليو ـ التي ابعدته عن امريكا صاحبة الخبز الابيض ، ولهذا فهو يرحب برئيسها الذى سينقذ الشعب من الفقر الذى يعيش فيه منذ قرون وينقله الى عصر من الرخاء لم يشهد له مثيلا ·

وليست هناك اهانة أشد من هذه الكلمات ، يمكن أن توجه لشعب من الشعوب وهى وصفه بأنه ينتظر الخلاص على ايدى حاكم أجنبى · بل وعلى أيدى حاكم دولة قتلت آلاف من شبابه وحرمته من نصر على عدوه ·· وصور الشعب فى صورة شعب من المتسولين الذين ينتظرون خبز أمريكا الابيض وفى سبيل ذلك · فهو على استعداد لأن يدوس على دماء شهداءه التى أهدرتها أسلحة أمريكا لاسرائيل · ولم تجف بعد · وعلى استعداد لشتم عبد الناصر والتنصل منه ارضاءا لنيكسون ·

فهل هناك اهانة أشد من هذه ؟

·· والغريب أن يعتقد صالح جودت أن الشعب المصرى شعب طيب ينسى الأسية لامريكا أى ينسى لها عداءها التاريخى له · ومؤامراتها المستمرة عليه · وسعيها لادخاله فى الاحلاف العسكرية والسيطرة على اقتصاده وتجميد أمواله ومنع الدواء والقمح عنه · وتسليح اسرائيل وقتل عشرات الآلاف من زهرة شبابه بأسلحتها · ثم تدخلها فى الحرب لمنعه من تحقيق النصر ·· كل ذلك ينساه الشعب المصرى لأمريكا ويخرج طالبا رضى رئيسها ·· ولاينسى لعبد الناصر أخطاءه ؟ ·· لماذا يصبح الشعب طيبا وضعيف الذاكرة مع دولة أجنبية تذبحه ذبحا ولايكون كذلك مع زعيم من زعمائه ؟ ·

·· الى هذا الحد وصل صالح جودت ؟ · الى حد شتم ناصر لأنه هاجم أمريكا ؟ والى حد تاييد نيكسون وأمريكا ضد ناصر وضد ثورة يوليو ؟ ·

·· ولأنه وصل الى هذا المستوى من الوطنية والشرف فقد أراد أن يسقط أحاسيسه ومواقفه على أحاسيس ومواقف الشعب المصرى · وأراد أن يحول المصريين الى جماعات من المرتزقة المجردين من الكبرياء الوطنى الذين يبيعون بلادهم للاجنبى ويهاجمون زعماءهم الوطنيين ارضاءا لهذه الاجنبى · ويتنصلون من أشرف فترات

نضالهم وتاريخهم مراعاة لصالح من قتلوا شبابهم ·· صالح جودت يريد أن يصور الشعب المصرى بكل ذلك حتى لايقف وحيدا مكشوفا على حقيقته ·

على أمين ·· نيكسون وتحرير العرب

·· من الاعراض التى لوحظت على الاستاذ على أمين · أنه التزم الصمت أول أيام الزيارة · رغم أنه قام بأكبر عملية دعاية لامريكا · ولآلاف الملايين من الدولارات التى ستتنزل فوق أم رؤوسنا · لتحيل بؤسنا رخاءا · وفقرنا نعيما · واخذ يبشرنا بالفجر الذى يرى أنواره ·· والذى سينقلنا الى عالم وردى لا أثر فيه للفاقة أو الحاجة بشرط أن نكوّن ظرفاء مع أمريكا ·· وكان صمته فى بداية الزيارة مسألة مثيرة ·· مما دفع بالبعض الى الاعتقاد بأنه آثر الصمت مكتفيا بما سبق من الدعاية التى قام بها ·· ولكنه لم يطق صبرا وكاد صمته أن يقتله بعد أن حبس عواطفه الجياشه يوما واحدا · فانفجر فى عموده « فكرة » يتكلم عن نيكسون بحب وهيام لانظير له · مما جعلنا نتذكر قول الشاعر :

ودع حبيبك أن الركب مرتحل
فهل تطيق فراقا ايها الرجل

ففى يوم السبت ١٥ يونيو (١٩٧٤) كتب فى « فكرة » يصف استقبال الشعب لنيكسون أثناء ركوبه القطار متوجها الى الاسكندرية ·

« كدت أسمع نبضات قلب نيكسون طوال الطريق من القاهرة إلى الاسكندرية بل لقد أحسست بأننى اسمع دقات قلبه وهو يسمع الملايين تهتف باسمه وتلوح له وتضحك ·· فقد كنت أقف مباشرة وراء السادات ونيكسون والقطار يخترق حشودا من الجماهير لم تعرف مصر مثلها · ولم ير نيكسون مثل هذه الحشود لا فى الولايات المتحدة ولا فى أى بلد من عشرات البلاد التى زارها · لم يسمع فى حياته هتافا من القلب كالهتافات التى سمعها فى أرض النيل · سمع الفلاحات المصريات يزغردن له ورأى الاطفال يلوحون له ·· ويرددون اسمه فى حماس ، كان يستمع لهذا التحايا وكأنه يسمع أحلى أغنية موسيقية فى الدنيا · شاهد حماس عمال مصر ،

وشبابها وبناتها ورجالها ونساءها · وكانت لغة العيون السعيدة الضاحكة أكثر بلاغة من هتاف الملايين لقد رأى نيكسون حشود الملايين وهي تهتف له ، ومع ذلك كان اذا رأى طفلا واحدا يجرى ملوحا ، كان يقفز من مقعده ، ويلوح للطفل الصغير ! وكان حائرا بين الحشود التى تقف الى اليمين ، والحشود التى تقف الى اليسار · كان يتطلع يمينا ويسارا فى سرعة حتى يلوح للفريقين ! وفى الساعات الأربع التى وقفتها بجانبه رأيت وجهه يزداد شبابا ساعة بعد ساعة · لقد رد له حماس الشعب المصرى شبابه ومسح تجاعيد قلبه · ووصل الى الاسكندرية أصغر عشرين سنة ، مما كان عليه لما تحرك القطار من محطة القبة » ··

·· يقول المثل العربى « سكت دهرا ونطق كفرا » · وأما على أمين فقد « سكت يوما ونطق بما هو أشد من الكفر » ·· فمن الواضح أن كل أساليب الدعاية الامريكية عن السلع وترويجها ، يطبقها على أمين بأمانة · وهى الدعاية التى تقوم على التهويل والدجل والافتعال ·· وهو الاسلوب الذى استخدمته الاخبار على أيدى مصطفى وعلى أمين والذى عرف بأسلوب الاثارة ··· فعلى أمين يقول عن مستقبلى نيكسون « أنهم ملايين » وكرر ذلك اكثر من مرة « وهو يسمع الملايين » و « هتاف الملايين » ·· ورأى نيكسون حشود الملايين ·· ولم يقل أحد أن الملايين خرجت لاستقباله ·· فكل التقديرات حتى تقديرات رجال الصحافة الامريكية · قالت ، عشرات الألوف ، ومئات الالوف · ثم أنه صور نيكسون ، وكأنه النبى المنتظر الذى يعلق عليه الشعب كل آماله · وكان ينتظره على أحر من الجمر · فالفلاحات يزغردن والاطفال يلوحون والعمال متحمسون وكذلك الشباب والبنات والرجال والنساء · انها صورة لاتحدث الا فى حالات عودة الابطال التاريخيين الى ديارهم ·· وعلى أمين يقول أن هذا الاستقبال لم تعرف مصر له مثيلا ·· أى أن المصريين استقبلوا نيكسون كما لم يستقبلوا أى زعيم آخر ··· وهكذا حكم على أمين على الشعب بأنه أحب نيكسون ، أكثر مما أحب زعماءه التاريخيين · من عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول ، ومصطفى النحاس ، وجمال عبد الناصر · ولم يخرج لاستقبانهم كما خرج لاستقبال نيكسون · وبهذا أصبح نيكسون فى نظر الشعب المصرى أكثر شعبية من زعمائه التاريخيين · ونسى على أمين أن يطالب بتنصيب نيكسون رئيسا لجمهورية مصر · وزعيما للشعب المصرى

لقد كدنا نعتقد أن نيكسون ليس رئيسا للولايات المتحدة الامريكية صاحبة الجسر الجوى لاسرائيل فى أرض القتال مباشرة . وانما هو زعيم مصرى كان يعيش فى المنفى وعاد الى وطنه .. كدنا نعتقد أنه « بيرون مصر » . (١) وأن عبد الناصر قام بانقلاب عسكرى ضده

.. ولانه لا يوجد نيكسون مصرى فى المنفى عاد الى وطنه . وانما هناك نيكسون واحد أمريكى .. فاننا نتساءل لماذا يتكلم على أمين بهذه الطريقة. ولماذا يصور الشعب المصرى بهذه الصورة ؟

.. ان على أمين لم يفعل ذلك اعتباطا . ولاتحت ضغط الحماسة لنيكسون والمحبة والاشتياق اليه وانما لاهداف أخرى . واذا نحن تركنا النتيجة الطبية للاستقبال . وهى ان نيكسون عاد شابا . اذ أنه وصل الى محطة الاسكندرية « أصغر عشرين سنة مما كان عليه لما تحرك القطار من محطة انقبة » . ونظرنا الى النتيجة السياسية التى أراد على أمين أن ينتهى اليها . فسنرى أنه أراد أن يعطى لنا موقفا سياسيا .. اذ أنه قال فى ختام فكرته . ملخصا رأيه :

« كان الشعب المصرى كريما مع نيكسون . قال له « شكرا » ببلاغة نبضات القلوب ، وليس بمجرد الهتافات والشعارات . ان نيكسون لم يحقق كل مايريده العرب بعد . ولا نصف مايطلبونه . ولكنه غير سياسة بلاده وبدأ يحس بالظلم الذى وقع على شعب فلسطين . لقد خطا خطوة واحدة وباق عدة خطوات . ترى كيف تستقبله مصر بعد أن يكمل المشوار ، ويعيد شعب فلسطين الى أرضه ، ويرد كل شبر من الارض العربية لاصحابها » .

ما الذى يعنيه كلام على أمين اذن ؟

انه يعنى ودون ان يتهمنا أحد بالتجنى على الرجل ، أو تحميل كلماته معانى أخرى .. أن نيكسون هو الذى سيحرر الاراضى المحتلة . وسيعيد الى شعب فلسطين أرضه التى اغتصبتها اسرائيل ، ومادام الامر كذلك فليس هناك أى داعى للقتال . أو حتى للاستعداد للقتال وعلينا الاطمئنان والانصراف الى الحياة العادية . لان القضية

---

١ ــ زعيم ارجنتينى قام ضده انقلاب عسكرى وعاش فى المنفى عشر سنوات ثم عاد الى بلاده فاستقبله الشعب استقبالا تاريخيا .

فى أيدى أمينة . وبما أن نيكسون ـ أى أمريكا ـ أخذ على عاتقه مهمة تحـــريرنا من اسرائيل . فان علينا أن نكون أمناء معه . وألا نكون جاحدين للجميل وناكرين له .. علينا ألا نغضب أمريكا . وأن نفعل ماتريده منا . حتى نكســـــب رضاها . ونثبت لها أننا قـــوم نستحق التضحية التى تقدمها الينا . اذ يكفيها أنها ستحررنا .

.. مثلا اذا كانت علاقتنا بالاتحاد السوفييتى تثيرها . فعلينا ان نبتعد عن السوفييت . فليست هناك حاجة الى سلاحهم أو تأييدهم أو قروضهم . واذا كان وجود القطاع العام يسبب لهم الحساسيات ويرون أنه ضار بنا وبهم . فعلينا ان نتخلص منه . ونبيعه للرأسماليين الطيبين العصاميين وأن نفتح أبواب البلاد دون رقابة أو حدود أمام رؤوس الاموال الاجنبية لتفعل ماتشاء . وتجلب لنا الرخاء .. واذا كانت كلمة الاشتراكية ثقيلة على أسماعهم . فيجب أن نكف عـــن ترديدها أو التمسك بها . اذ لا حاجة لنابها . واذا كانت ذكريات عبد الناصر تسبب لهم القلق وتجعلهم غاضبون لاننا سمحنا له بأن يهاجمهم فعلينا أن نعلن براءتنا من عبد الناصر ونلعنه كل وقت . بل ونهدم قبره ونطهر ارضنا منه ومن آثاره حتى لايخيف شـــبحه سادة واشنطن ونقضى على كل مافعله . لان مافعله باطل وضـــار . التأميم باطل .. السد العالى كارثة لان أمريكا لم تبنيه . القطـــاع العام لم يكن له مبرر وجر علينا الخراب . الاصلاح الزراعى بدعـــة . كل مافعله ناصر باطل .. ولهذا يجب أن يشتم ويدان ..

وعلينـــا أن نفعل كل ذلك من أجـــل عيون أمريكا . واعترافا بالجميل .. ألا يكفينا انها ستعيد لنا أراضينا شبرا شبرا ؟

ألا يكفينا أنها ستعيد شعب فلسطين الى أرضه ؟

بعد أن فشلنا فى تحرير اراضينا وبعد أن فشل الفلسطينيون فى العودة لاراضيهم ؟

.. هذا مايريد أن يقوله على أمين .. الاستسلام لامريكا وتسليم بلادنا اليها .. لتتولى تحريرنا واطعامنا .. أما شهداءنا وتضحياتهم فلم يكن لها مبرر . لانها كانت عبثا ولا فائدة منها .

.. هذا مايقوله ثانى الثلاثة ..

٠٠ أما ثالثهم ٠ فهو الاستاذ سعيد عثمان(١) الذى كتب مقالة بمجلة الاذاعة والتليفزيون بتاريخ ١٥ يونيـــو ١٩٧٤ عن « زيارة نيكسون وتصحيح المسار » ٠٠ قال فيها :

« ومن هذا المنطلق كان تعاملنا الواعي مع الموقف الامريكي ، وهو تعامل نجح فى اقناع الولايات المتحدة بان تبحث عن مصـــالحها فى خطوط لا تتناقض ولا تتصادم مع مصالحنا ٠ بل تتمشى مع مصالحنا وأهدافنا » ٠

المهم أنه بدأ كلامه بما اعتبره شيئا مسلما به ٠ وهو أن أمريكا أصبحت مصالحها لاتتناقض مع مصالحنا فقط ، وانما تتمشى معها ٠ أى أن مصالح أمريكا هي نفسها مصالح مصر والعالم العربى ٠ وكان عليه أن يواصل كلامه أو اكتشـافاته الفكرية فيقول بأن مصـــالح اسرائيل وأهدافها أصبحت تتمشى مع مصالحنا وأهدافنا ٠٠ فطالما أن أمريكا تتولى حماية اسرائيل وامدادها بالســلاح وكل المتطلبات التى تمكنها من أن تكون أقوى من الدول العربية مجتمعة ٠ وطالمـــا أصبحت اهدافها تتمشى مع أهدافنا ٠٠ أى طالما نحظى نحن واسرائيل برعاية أمريكا ٠ فمن الطبيعي أن تكون أهداف ومصالح اسرائيل هي نفسها أهدافنا ومصالحنا أولا تتناقض معها ٠٠٠ وبطبيعة الحال فان الكاتب لم يقصد ذلك لانه لو كان يقصد ذلك لما تجرأ عـــلى قوله ٠ وانما هو قد قال ماقاله عن تطابق مصالح وأهداف أمريكا مع مصالحنا وأهدافنا من باب الدعاية لامريكا وكتمهيد لما يريد أن يقوله ٠ ولانه خشى أن لايكون له نصيب فى « الزفة » ٠ انه لم يكتف بمهاجمـــة عبد الناصر بشكل غير مباشر ، وانما أعلن شماتته فى هزيمة ١٩٦٧، بل وأعلن دون خجل أو حياء أننا نستحق ماحدث لنا ، وأن أمريكا كانت علي حق فى مواقفها العدائية التى اتخذتها ضدنا لأننا السبب فيها ٠٠ يقول :

---

(١) رئيس تحرير المجلة ٠ وحين عين الدكتور محمد عبد القـــادر حاتم وزيرا للاعلام بعد مايو ١٩٧١ عينه رئيســــا للتحرير رغم انه لم يكن عضوا بنقـــابة الصحفين وهذا مخالف للقانون ٠ والكلام بالاسود من عنده ٠

« كنا قبل تصحيح المسار نتخذ قرارات سياسية وعسكرية فادحة الخطأ فى مواجهة اسرائيل ، وعندما تكون نتيجتها هزيمة فاضحة ٠

نقول أننا منينا بهذه الهزيمة لان الولايات المتحدة ضربتنا ٠ رغم أننا نحن الذين ضربنا أنفسنا قبل أن نضربنا اسرائيل ، وكانت الولايات المتحدة تؤيد اسرائيل بالفعـــــل ، ولكن ما هى النتيجة الطبيعية لان نتهمها بضربنا ونحن نعرف أكثر من غيرنا أن ذلك غير صحيح ٠ بل ولم يكن هناك داع له ، لان اسرائيل انهت المهمة وحـــدها وبكل سهولة ؟! النتيجة الطبيعية هى أننا ندفع الولايات المتحدة بذلك الى مزيد من التأييد لاسرائيل كما أننا بمثل هذا الاتهام نباعد بينها وبين أى موقف حيادى من النزاع قد تفكر فيه أو ترى أن مصـــالحها فى المنطقة تدعوها اليه ٠ وعلى أية حال فان الرئيس الامريكى السابق جونسون لم يكن فى حاجـــة الى مبررات لمزيد من الاندفاع فى تأييد اسرائيل ولم يكن يفكر فى أى موقف محايد من الصراع ، ولم يكن فى موقفنا آنئذ مايدعو أى مسئول أمريكى الى شىء من ذاك » ٠

٠٠ انه ببساطة شديدة يرى أن مساندة أمريكا المطلقة لاسرائيل ، وعدم اتخاذها موقفا حياديا فى الصراع . لم يكن بسبب أن أمريكا دولة استعمارية ، وان اسرائيل تعتبر أداتها فى المنطقة ٠ وعصاها ٠ الغليظة ٠ وانما لاننا اغبياء ولم نحسن التصرف مع أمريكا ٠ وكانت مواقفنا خاطئة لدرجة أننا أحرجنا المسئولين الامريكيين عن الوقوف معنا ضد اسرائيل أو منعهم من اتخاذ موقف حيادى ٠٠ ولم يوضح الكاتب ماهى المواقف التى اتخذناها ولم تشجع المسئولين الامريكان عن الوقوف على الحياد ؟ وماهى المواقف التى كان علينا أن نتخذهـا لنضمن حياد أمريكا ٠ وتخليها عن تأييد اسرائيل ؟ ٠

٠٠ هل أخطأ عبد الناصر حينما أخذ يلح على أمريكا لتبيعه السلاح ثم لما رفضت اشتراه من السوفييت ؟ ٠ هل كان يجب ـ ليحوز رضاء أمريكا وحيادها ـ ان نظل بلا سلاح ؟

٠٠ هل عبد الناصر هو الذى دفع أمريكا لان تسحب عرض تمويل السد العالى ؟ ٠ وهل أخطأ حينما اتفق مع الروس على تمويله ؟ وماذا يقترح الكاتب هل كان عليه أن يقبل اهانة أمريكا ؟ وهل كان عليـه أن يرفض بناء السد مالم تقم أمريكا ببنائه ؟

وهل أخطأ عبد الناصر حينما رفض أن يدخل فى أحلاف أمريكـا العسكرية ؟ ٠

٠٠ وهكذا ٠٠ سنجد أنفسنا أمام تساؤلات كثيرة يثيرها هـــذا الكلام الذى يحمل ادانة لنضال الشعب المصرى ورفضــه الخضـــوع والتسليم لامريكا ٠٠ فكل مافعلناه باطل ٠ وكل مافعلته أمريكا ضدنا نســتحقه بجدارة لاننـا السبب فيه ٠٠٠ لقد فات الكـاتب أن يلوم أمريكا أنها لم تتولى بنفسها تصفية عبد الناصر الذى تجاوز حدوده معهـــا ٠٠

والغريب فى أمر هذا الكاتب الشامت فى هزيمة بلاده ، وفيمـــا لحقها من أذى على أيدى أمريكا أنه يتغافل بسوء نية عن دور أمريكـا فى حرب أكتوبر ويتغافل عما قاله الرئيس السادات علنا ٠ من أنه لايستطيع أن يحارب أمريكا التى دخلت الحرب ضدنا مباشرة ٠ والتى كانت ترسل الدبابات بأطقمها وبنزينتها من أمريكا الى مطار العريش لتشترك رأسا فى القتال ضد قواتنا ؟ ٠

٠٠ لماذا تغافل عن كل ذلك رغم أنه قريب العهد ؟ وما الذى فعله السادات فى حق أمريكا حتى تؤيد اسرائيل بهذه الطريقة ٠ وحتى تقاتل ضــده ٠ وترفض اتخـاذ موقف حيادى ٠ بل وتهــدده بأنها ستدخل الحرب ضده مباشرة اذا أصدر أوامره بتصفية الثغرة ؟ ٠

٠٠ ألا يدل ذلك عـلى مدى الحقـــد الاســـود الذى يكنه الكاتب لعبد الناصر ، والذى أوصله الى حد الشماتة فى هزيمة ١٩٦٧ ، والى حد تبرير مواقف أمريكا العدوانية ضد بلاده ٠ وهــو الامر الذى لم يفعله الامريكان أنفسهم الذين اعترف كثير منهم بأن أمريكا اخطأت كثيرا فى حق البلاد العربية ، وحق مصر ٠ ألا يعتبر أمريكى أكثر من الامريكيين ؟ ٠

ديمقراطية اليمين المزيفة

واذا ماخــلا الجبان بأرض
طلب الطعن وحــده والنزال

« المتنبى » ـ الشاعر العربى

ان اقسى الاشياء للنفس ظلما
قلم فى يد الجبـــان الجبـــان
« نزار قباني » من قصيدة تكريما لطه حسين

ـ ١ ـ منع الآراء الأخـــرى

.. كيف فهم اليمين المصرى الحرية ؟ وكيف مارسها فى هذه المدة الزمنية القصيرة ؟ .

.. فى حقيقة الامر . فان هناك تناقضا حادا ومثيرا للشفقة فى موقف اليمين ، بحيث نستطيع القول أنه يمين مصاب بانفصام في الشخصية . فهو لايكف عن تصوير نفسه كأكبر داعية للديموقراطية وحرية الرأى . ويصرخ بأعلى صوته مطالبا بها ، وناسبا كل الكوارث التى واجهتنا الى فقدان حرية الرأى والمعارضة .. هذا هو الوجه الاول . وأما الوجه الثاني . أى الممارسة . فان اليمين كشف بسرعة شديدة عن طبيعته المعادية للديموقراطية . والتى تنســـف كل ادعاءاته . وتوضح أنه يمين « دجال » و « فاشى » .. وأن سيطرة اليمين عـــلى المنابر الصحفية شهدت أكبر عملية قمع وتزييف لا نظير لها .

.. وسوف نأخذ نموذج علي أمين في الحديث عن التشدق بالحرية لنرى كيف طبقوها بعد ذلك ..

.. بتـاريخ ٢٥ فبراير ١٩٧٤ . كتب عـــلى أمين فى « فكرته » بجريدة الاهرام يقول :

« اننا نؤمن أن من حق كل مصرى أن يقول رأيه . حتى ولو خالف رأينا دون أن يوضع وراء الشمس ! دون أن يطارد فى رزقـــه ورزق أولاده . دون أن نعتبره مجرما وخائنـا يســـتحق أن تنصـــب له المشانق » .

وفى ٢٦ فبراير ١٩٧٤ ـ كتب :
« واننى أعتقد أنه لو كانت الصحافة حرة لما حدثت هزيمـــة ٥ يونية ، فانه كان من الممكن تلافى هـــذه الكارثة اذا عرف الشـــعب مقدما الحقيقة . كل الحقيقة » .

•• وفى ٤ مارس ١٩٧٤ ـ فى الاهرام ـ فكرة ـ قال :

« ولهذا فمن حقك أن تقول رأيك وأن تنشر لك الصحف هـذا الرأى • من حقك أن تختلف مع الحاكم وان تختلف مع الكاتب • ومن حقك اذا هاجمتك جريدة أن تنشر ردك فى اليوم التالى ، وأن تدافع عن نفسك وتهاجم الجريدة على تسرعها فى اتهامك قبل أن تتأكد من الوقائع • والرأى الحر ليس معناه توزيع الاتهامات الظالمة بلا دليل ، وليس معناه حرية استعمال لغة الشوارع والكلمات النابية ، وانما معناه أن تحترم آداب الكتابة فتنتقد ولا تسب ، ولا تسخر ولا تسيل الدماء تبنى ولا تهدم » •

وبتاريخ ٢٥ مارس (آذار) ١٩٧٤ ـ الاهرام ـ كتب يقول ـ

« وليس معنى حرية الرأى أن نظلم الناس وانما معناها أن تتحقق الصحافة من كل اتهام قبـــل أن تنشره • والا يحتكر المحررون صفحاتها • بل يجب أن تحرص دائما على أن تفســح مكانا لآراء الشعب ولو اختلفت مع رأيها » •

•• وفى ٢٨ يوليو (تموز) كتب فى الاخبار يقول :

«تعالوا نجرب أن نثق فى بعضنا البعض ، تعالوا نجرب أن نرفض الاتهامات الظالمة ونطلب من كل صاحب اتهام ان يقـــدم الدليـــل على اتهـــامه » •

•• وفى ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ ، كتب فى الاخبـــار يقـــول : ـ

« والحرية ليست هى أن نتهم من نشاء فحسب •• بل هى أن من حق كل من تتهمه أن يدافع عن نفسه » •

•• وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٧٤ ـ كتب يقول :

« أحسست بســـعادة حقيقية وأنا أقرأ فى أخبار اليوم هجوم بعض زعماء العمال ، علينا ، واتهاماتهم لنا ، هذه ليست شتائم •• هذه موسيقى • هذا نشيد حرية الرأى يغنيه شـــعبنا من جديد • هذا دليل واضح على أنه ليس فى الصحافة اليوم مراكز قوى » •

« أما اليوم فانك تستطيع أن تهاجم أى صحفى وتلعن أباه ، انه ينشر لك هجومك عليه بالعناوين الضخمة ويفرد لك الصـــفحات لتقول فيه ماقاله مالك فى الخمر وما لم يقله » •

يقولون : « اسمع كلامك يعجبنى .. اشوف أمورك استعجب »
.. وهذا ماينطبق تمام الانطباق علـــى حالة اليمين المصرى فى قضية الديموقراطيه وحريه الرأى .. نسمع ونقرأ كلاما جميلا ..
ولكننا نرى العجب فى التطبيق .

.. وفى حقيقة الامر . فاننا اخترنا كلام على أمين لانه أجمل كلام وأكثره رقة وذوقا وشاعرية .. ولان صـــاحب هذا الكلام . مارس ديكتاتورية فاشية لامثيل لها على الاطلاق . مما يؤكد قولنا أن فلاسفة اليمين مصابون بداء انفصام الشخصية ، أو مايسـميه علماء النفس ، مرض « الشيزوفرانيا » .. ولم يقتصر الكلام الجميل على لسان على أمين وحده . وانما تســاقط من لســـان شـــقيقه مصطفى .. ورغم أنه أكثر ذكاءا وضبطا لمشاعره . فانه مثل أخيه فى الممارسة ..

.. كيف مارس التوأمان ـ فرسان الحرية ـ حرية الرأى ؟

.. بتاريخ ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٧٤ ـ كتب عـــلى أمين فى فكرة بجريدة الاهرام عن احد الحوادث المثيرة التى وقعت فى أحـد المحلات التجارية التى تتبع القطاع العام فقد « رأى الداخلـــون فى أحد المحلات التجارية المعروفة منظـــراعجيبا . بائعه واقفة خلف المائدة التى توضع فوقها المعروضات « البنك » وقد اجلست طفلهـا الصغير فوق « قصرية » على البنك ! »

.. وبعد أن يتحدث عن آداب البيع . وأن ليس معنى تبعيـــة هذه المحلات التجارية للقطاع العام ، أن تسىء معاملة الزبائن .. يختتم الفكرة بصرخة تحذير شديدة لاتخلو من خفة الدم فيقـــول :

« وكل يوم يستمر السكوت فيه على هذا الحـال ســـوف يزداد استهتار هؤلاء الباعة ، وسوء معاملتهم للزبائن . وقد يجىء يـــوم يستقبل فيه البائع الزبون بقلمين ويودعه بشلوت ! »

.. وبتاريخ ٤ مارس (آذار) ١٩٧٤ ، أرسلت « النقابة العامة للعاملين بالتجارة » ترد على ذلك . وأعلنت فى ردها استنكار كل العاملين بالمحلات التجارية فى القطاعين العام والخاص لهذا السلوك من العاملة ان كان قد حدث .

.. وقال الرد :

« ولقد كنا نود — والأمر كما ورد بالمقال يتعلق بأحد المحلات التجارية المعروفة التابعة للقطاع العام — أن تبدو سيادتكم بوصفكم كاتبه ، استعدادكم للارشاد عن ذلك المحل وتاريخ الواقعة ، والدليل على صحتها » .

« ولسنا هنا في مجال التعرض لمعتقداتكم الشخصية ومناقشتها ولكننا فقط نبغلكم بأن جميع اللجان النقابية للعاملين بالمحلات التجاريه التابعة لذلك القطاع قد انكرت تماما حدوث تلك الواقعة التى بدأتم بها مقالتكم . فهى ليست غير صحيحة فقط ، وانما أيضا يستحيل حدوثها . فلا يوجد ذلك المحل الذى يسمح للعاملين فيه باصطحاب أطفالهم الى العمل أصلا . فضلا عن أن يكونوا فى تلك السن التى تحتاج الى « القصرية » أو ان يضيق بالعاملة المكان لاستعمالها فلا تجد غير « البنك » المكشوف أمامها » .

.. لقد كان من المفروض أن يبادر على أمين بنشر الرد الذى جاءه من النقابة عملا بحرية الرأى وهو مانكفله قوانين الدولة . وأن يعتذر اذا كان قد وقع فى عملية « تضليل » من الذين قالوا له عن الواقعة ، أو يكذب النقابة ويقول عن اسم المحل وعنوانه الذى حدثت فيه موقعة « الطفل والقصرية » .

.. ولكن فارس وداعية الحرية رفض نشر الرد أيمانا منه بحرية الرأى والصحافة . وكان هذا أول تطبيق عملى لما قاله :—

.. وقد أثار هذا السلوك . النقابة . فأرسلت مذكرة الى رئيس قسم الاخبار والاعلانات والاشتراكات بالاهرام تحتج فيها على هذا الموقف حيث « انه لم يتم حتى الان نشر مايشير الى هذا الرد أو تأكيد صحة الواقعة موضوع المقال أو نفيها » .. واعلنت انها لن تشترك فى الاهرام لا بالاعلانات أو الاشتراكات احتجاجا منها على هذا الموقف التعسفى .. وأرسلت هذه المذكرة بتاريخ ١٩ مارس ١٩٧٤ .. وهنا تذكر على أمين ان حرية الرأى تتطلب منه أن يلقن زعماء النقابة درسا فى الأدب وفى حرية الصحافة . فكتب فى فكرة هجوما قاسيا وشنيعا ينم عن اخلاق شرسة ، وسوف ننشرها كاملة ، وقد كتبها فى ٢٤ مارس — الاهرام :

« ليس معنى حرية الصحافة ان تتخلص الصحافة من طغيان

الرقيب ، لتخضع لطغيان فلة من البلطجية ! • وطغيان الفرد وطغيان أى جماعة او عصابة • ولقد كتبت منذ مدة اطالب موظفى المحلات التجارية بالقطاع العام بأن يحسنوا طريقتهم فى معاملة الزبائن • وقلت مامعناه انه اذا كان الادب ليس فى الكتب • فان قلة الادب متوافرة فى بعض هذه المحلات • وتصورت ان النقابة العامة للعاملين بالتجارية ستحقق فى الاستهتار الذى اشرت اليه وتأمر اعضاءها بالكف عن اساءة معاملة الزبائن • ولكن بعض السذج من أعضاء مجلس هذه النقابة أرسلوا الى انذارا كالانذار الذى تعود المندوب السامى البريطانى توجيهه الى الشعب المصرى فى أيام الاحتلال • لقد خيروا الاهرام بين تكذيب الخبر الصحيح وبين قطع اشتراك النقابة فى ثلاث نسخ من الاهرام • والغاء كل عقود الاعلانات التى

بين النقابة وادارة الاعلانات ! • ولقد أخذت العرض الثانى وطلبت من قسم الاشتراكات أن يتوقف فورا عن ارسال « الاهرام » الى النقابة ، وعرض النسخ الثلاث فى السوق التي حرمتها وزارة الاقتصاد من آلاف النسخ من « الاهرام » بسبب ازمة الورق ! كما طلبت رد باقى قيمة الاشتراكات لمجلس النقابة • وطلبت من محامى دار « الاهرام » الغاء كل عقود الاعلانات التى تعاقدت عليها مع النقابة وهى لاتتجاوز بضعة جنيهات • فى الوقت الذى يعتذر فيه (الاهرام » كل يوم عن عدم نشر اعلانات قيمتها ثلاثة آلاف جنيه بسبب ضيق المساحة • كما طلبت شكر النقابة على هذا الطلب

وابلاغها دعواتنا بأن يكثر الله من أمثالها حتى نوفر بعض مساحات الاهرام للاعلانات المرفوضة ! • لقد انتهى عصر تحكم المعلنين فى تحرير الصحف • ولن يعود • ولن يكون هذا هو موقف « الاهرام » وحده • أن كل جريدة فى بلادى ستقف هذا الموقف ضد أى معلن يحاول أن يفرض ارادته على ماتكتبه الجريدة •

هذا هو الدرس الاول فى حرية الصحافة وستقرأون عن دروس أخرى أعطتها الصحف للذين لم يفهموا معنى هذه الحرية ! » •

•• اهذا هو الدرس الاول في حرية الصحافة ؟

---

(١) لوحظ أن هذه الحملة التي قادها على امين كانت متلازمة مع الاتجاه الذى كان يطالب وقتها ببيع محلات القطاع العام للقطاع الخاص كما كانت متلازمة مع حديث على أمين عن ابنة صبنناوى وكفاحه .

•• نعم •• وكان درسا قاسيا لكل الذين خدعهم اليمين •
•• من هم البلطجية ؟ •

•• بعد قراءة هذه الفكرة • أعتقد أن « البلطجي الاعظم » هــو كاتبها نفسه •

•• ان « بلطجة » على أمين ليست الموقف الوحيد • وانما هناك دروس كثيرة من هذا الموقف ••

أولا • • انعلى امين أشار الى كتاب النقابة . يطلب قطع الاشتراك والاعلان • ولم يشر الى رغبتها فى أن يثبت أو ينفى التهمة • وشن حملة مريبة وغير مفهومة • وبلغت جرأته فى الكذب والتناقض حدا لايمكن تخيله • حينما يقول « وتصورت أن النقابة العامة للعاملين بالتجارة ستحقق فى الاستهتار الذى أشرت اليه وتأمر اعضـاءها بالكف عن اساءة معاملة الزبائن » • الامر الغريب أن هذا الرجل لايخجل أبدا • فالنقابة تطالبه فى ردها الاول ، ثم فى خطابهـــا الثانى ، بأن يذكر اســم المحل الذى حــدثت فيه معركة « الطفل والقصرية » والتاريخ لتتخذ الاجراءات المناسبة • فلا يكلف خاطره ، نشر الردين ، ولا الادلاء بمعلومات عن أســم المحل •• ثم يهاجم النقابة لانها لاتحقق فى واقعة حدثت فى مكان يعلمه هـو وحـده ، ويصر على عدم ذكره • لا للقراء ، ولا للذين يطلب منهم التحقيق ! ونلاحظ أنه — للمرة الثانية — لم يذكر اسم المحل ••

ثانيا •• يقول أنهم خيروه بين تكذيب الخبر الصحيح وبين قطـع الاعلانات والاشتراكات • فاختار الثانى •• أى أنه لم يقبل بتكذيب الخبر • ومن الطبيعى انه رفض التكذيب لتأكده من صحته • ولكنه لايعطينا أى معلومات عنه للمرة الثانية • ويبدو أنه أعتقد بأنه ذكر المعلومات فى الفكرة الاولى بحيث لايجد مبررا لتكرارها فى الفكرة الثانية ! •

ثالثا •• أنه يدعى بطولة فى غير موضعها • اذ أخذ يعدد للقراء بطولات من نوع غريب • ظهرت فى سلسلة من القرارات والاجراءات المتتالية التى لا تتخذ بمثل هــذه السرعة أو هـــذا الحماس الا فى المعارك الحربية التى لاتتطلب تأخيرا فى صدورها •• ولكنه فشل فى تمثيل دور القائد والبطل • وكان نسخة مشوهة واكثر سخرية من «دون كيشوت» .. فهو يبدأ باطلاق اكذوبة وخبـــر ملفق .

ليفتعل معركة . ثم اذا واجهه الناس باثبات مايقوله . يبادر بفتح معركة أخرى ليصور نفسه الفارس المدافع . والحارس الامين على حرية الرأى التى مزقها بشيطانية مفزعة . ثم يتباكى عليها ! .. أنه كالقاتل الذى يرتكب جريمة قتل . ثم يجلس فوق جثة الضحية ويصرخ بأنه سيدافع عنها للابد !

.. ويبدو أن زعماء النقابة كانت عندهم بقايا أمل فى ايمان على أمين بحرية الصحافة . فارسلت اليه ـ أى النقابة ـ ردا بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٧٤ . وتعلمه بأنها رفعت ضده قضية فى المحاكم على تهجمه وسبه للقادة النقابيين . وكانت لهم ملاحظات فى الرد . قالوا فيها :

« وكان ابتسامنا المشفق ـ ياسيدى ـ لأمور ثلاثة ..

أولها .. أن رفضكم كلمة احتجاجنا وعقابكم لنا عليها انما جاء باعتباره أول درس من دروس حرية الصحافة . وهو ـ كما قلتم ـ تحريرها من تحكم المعلنين . والأمر الثانى هو ذلك الضعف الذى أصاب ذاكرتكم التى تعودناها قوية لاتغفل عن أدق أسرار القصور ومايجرى فى كواليس السياسة منذ شرفت الصحافة بانتمائكم اليها . أما الأمر الثالث فهو تلك العصبية وذلك الانفعال اللذين جمحا بكم . فخرجتم من اثرهما عن طوركم فالقيتم بالنعوت والأوصاف ذات اليمن وذات الشمال » .

.. وبادر على أمين بتخصيص فكرته بتاريخ ٢ ابريل (نيسان) ١٩٧٤ لشن هجوم أكثر فظاعة .. وأكثر سخرية فى نفس الوقت . ضد زعماء النقابة .. قال :

« تصور بعض السذج أنهم الورثة الشرعيون للدولة ! فاذا حررت الدولة صحافة مصر من سيطرتها وتدخلها فان فى استطاعة هؤلاء السذج أن يرثوا هذه السيطرة ويطبقوا بأصابعهم على عنق صاحبة الجلالة ويحولوا الصحفيين الى عبيد يصفقون لاستهتارهم وبلطجتهم ! تصور بعض السذج أن ابعاد الدولة عن التدخل فى حرية الصحافة معناه فتح الباب للطغاة الصغار . وفوجئنا فى الأيام الاخيرة بهيئات ساذجة تتحول الى عصابات تهدد وتتوعد الصحف لانها انتقدت . او نشرت خبرا لايصح أن ينشر عن الآلهة ! والصحافة التى لن تركع لحاكم لايمكن أن تركع للهلافيت ! وخطابات

التهديد وبرقيات الوعيد لاترهب الصحفيين · فان خزائننا مليئة بملايين من هذه الخطابات التى نعتزبها ونحفظها كأوسمة تشهد بأننا لانمشى وراء مواكب الغوغاء وطوابير الذين يفكرون بحناجرهم ولقد غضب منى بعض الباعة المتجولين فى القطاع العام » ·

·· ثم ينهى فكرته بتهديد من نوع غريب جدا :ـ

« واذا لم تنته هذه الفوضى فورا ، سيرسل الاهرام محققين ومصورين ومعهم كاميرات سينما دقيقة تصور المخالفين والمستهترين من الباعة ، وتعرض أفلامهم على أعضاء مجلس الشعب ليغيروا القانون ، وينص فيه على طرد كل بائع فى القطاع العام يسىء معاملة أفراد الشعب ·· فالقطاع العام هو ملك الشعب وأن كان عماله يتقاسمون أرباحه مع الدولة » ·

·· ثم يقذف بحكمة غير بليغة :ـ

« أن الكرامة ليست أن تتمسك بخطئك وتلعن الذى كشف هذا الخطأ ·

أن الكريم هو الذى يعترف بأخطائه · ويسارع بالخلاص منها ! » ·

·· ولا ندرى من الذى يتمسك بخطئه ؟ على أمين أم النقابة ؟ الذى يقول أخبارا عن واقعة لا يذكر مكانها وزمان حدوثها · أم الذى يطالبه بتحديد المكان والزمان لاتخاذ الاجراءات ؟ ·· الذى يسب ويهاجم ويكذب ويرفض حق الناس فى الرد · أم الذين لايملكون أى منبر للرد ؟ ·· لقد رفض على أمين أن يعترف بخطأه وبالتالى رفض أن يكون كريما ·· كما أننا لانعلم مغزى التهديد الذى يطلقه فهو سيرسل بمصورين لتصوير العمال الذين يسيئون معاملة الزبائن · لتقديم الصور لمجلس الشعب · حتى يسن قانونا لطردهم !!

·· الى هذا الحد طاوعته عبقريته ؟ ·· فنحن لا نعلم ما هو الوضع الذى سيظهر فيه البائع بحيث تثبت عليه تهمة معاملة الزبون معاملة سيئة ؟ · وهل يمكن أن تصدر قوانين وتشريعات بناءا على صور بائع يشخط فى زبون ؟ أو بناءا على طفل بائعة فوق قصرية فى المحلات الغير موجودة ؟ ·· ولماذا لايبادر بفعل ذلك مع المختلسين والمرتشين وتجار السوق السوداء ؟

ـ ٢ ـ فئران على أمين · ومخابرات قطاع خاص

·· كان من الواضح أن الثورة المضادة تتصاعد بحملتها بقوة · كما كانت الامال ـ أى أمالها ـ تتزايد بسرعة فى تحقيق نصر حاسم وكامل يمكنها من تصفية القوى التقدمية · وتصفية منجزات الثورة الايجابية · وقد اعتقد اليمين ، أنه ربح الجولة بعد زيارة نيكسون التى اراد لها أن تكون خاتمة الحملة · ليبدأ بعدها جنى الثمرات ·

·· ولكن فى اللحظة التى أصبح اليمين على ثقة من النصر ، أو « قاب قوسين » منه كما يقول البلغاء ـ فى هذه اللحظة حدث تحول درامي فى الموقف · اذ بدأ الهجوم المضاد ضد اليمين بقوة لم تكن متوقعة ، وسرعان ما تهاوت الأحلام والآمال بعد أن اتضح أن جماهير الشعب ترفض فكر ومخططات هذا اليمين وتدينها · وقد كانت هناك مناسبتان هما اللتان فجرتا الموقف ، وأحدثتا التحول المناسبة الأولى · هى مناقشة ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، والمناسبة الثانية ، اقتراب موعد الذكرى الرابعة لوفاة عبد الناصر ·

·· لقد فقد اليمين صوابه ·

هذا هو الوصف الذى يقترب من الحقيقة · ولأنه فقد صوابه فقد أخذ يتصرف بعصبية وبطريقة مضحكة تدعو للرثاء ·· ولم يثبت اليمين أنه دجال ونصاب وكاذب · لأنه وان كان يتغنى بالديمقراطية فهو من ألد أعدائها · بل واثبت كذلك أن فيه صفات المخبر وأنه لا يستطيع أن يعيش دون حماية الارهاب .

·· بعد هذه المقدمة الانشائية ·· ما الذى حدث بالضبط وكيف تصرف أهل اليمين ؟

·· تكونت فى مجلس الشعب برئاسة محمود أبو وافية ، لجنة سميت لجنة الاستماع · تتولى سماع آراء الكتاب وفئات الشعب المختلفة فى تطوير الاتحاد الاشتراكى · وفى الاحزاب · وبتاريخ ٢٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ ، خصصت الجلسة للاستماع الى آراء القيادات العمالية ·· فشن العمال هجوما كبيرا على مؤسسة الأخبار · واتهموا مصطفى أمين بالعمالة لحساب المخابرات الأمريكية · وبأنه لم يبرأ من الاتهام · كما اتهموا شقيقه على أمين

بأنه كان يعيش فى الخارج على حساب الامريكان ، واحتجوا على الدور المخرب الذى تلعبه الاخبار ·· وقد نشر ملخص لوقائع الجلسة ·· بما فيها هذه الكلمات فى أخبار اليوم التى صدرت فى اليوم التالى مباشرة أى ٢١ سبتمبر · ونشرت كلمة لأخبار اليوم قالت فيها « أن أخبار اليوم تؤمن بحرية الرأى · وهى تنشر النص الكامل لأقوال بعض ممثلى نقابات العمال فى لجنة الاستماع ·· رغم مافى هذه الأقوال من هجوم وتجن وتجريح ضد أخبار اليوم ذلك لاننا نؤمن بأن من حق من يخالفنا فى الرأى أن يقول رأيه · وندفع حياتنا لنمكنه من أن يقول هذا الرأى » ·

·· والذى كتب هذه المقدمة الديمقراطية الرائعة هو مصطفى أمين دون أن يوقع عليها ، بصفته رئيسا للتحرير ·· ولكن حتى هذه المقدمة توضح كذبهم ·· فهم لم ينفردوا بنشر وقائع الجلسة وحدهم · وانما نشرتها الجمهورية والأهرام أيضا ··

·· يدفعون حياتهم ثمنا لتمكين الآخرين من أن يقولوا رأيهم ؟

·· هذه هى النكتة السخيفة التى قالها مصطفى أمين ، لأنهم طالبوا برؤوس من خالفوهم علاوة على رفضه نشر آراءهم ·

·· والغريب أنه فى نفس العدد قام على أمين بشن هجوم مضاد غير مباشر على العمال · متهما اياهم بالشيوعية بينما آثر مصطفى الصمت ·· لأنه كان عليه أن يرد على اتهامات الجاسوسية التى الصقت به ·· ولكن على رفض الصمت ورفض أن يرد على

الاتهامات التى قيلت عنه · بأنه كان يعيش فى أوربا لمدة تسع سنوات على حساب المخابرات الامريكية كالملوك · قال فى فكرته :ـ

« أنا لا أحب الشيوعية لانها تصادر الحريات ، ولأنها نظام ديكاتورى لايستطيع الشعب فيه أن يقول للحاكم : لا ! ولا أحب الشيوعيين الذين يحاولون تلويث كل الناس بالطين حتى يخفوا ما على وجوههم من سواد · وما فى عقولهم من ظلام · ومع ذلك فانى أتمنى السماح بانشاء حزب شيوعى فى بلادى وبذلك نخرج الشيوعيين من تحت الارض الى الهواء الطلق » ·

« ولكن قيام الحزب الشيوعى سيكشف مكان الشيوعية فى بلادى أنه حزب منظم نشط ، يمده خبراء الشيوعية العالمية بأحدث

الميكروفونات التى تضخم الأصوات . فاذا صرخ مائة شيوعى تتصور أنهم عشرة آلاف . واذا صرخ ألف تتصور أنهم ملايين .. يجب أن يقوم هذا الحزب حتى تعرف الدنيا أن عدد الشيوعيين فى مصر يقل عددهم عن أربعة آلاف شخص » .

.. وفى حقيقة الامر فان المرء يصاب بالحيرة من هذا الكلام .. لأن على أمين كان منذ خمسة عشر يوما فقط ينادى بقيام حزبين فقط ، ليس فيهما حزب شيوعى . فلماذا غير رأيه بسرعة وطالب بحزب للشيوعيين ؟

.. كذلك يحتار المرء عن المعلومات الواردة فى هذا الكلام . فهو يقول أن عدد الشيوعيين المصريين يقل عن أربعة ألاف شيوعى. فمن اين عرف العدد؟ وأى جهاز أمده بالرقم ماداموا يعلمون بالسر وغير مسجلين فى كشوف علنية ؟

.. والى من يوجه كلامه .. الى أجهزة الأمن ام الى جهة ثانية؟ وما المناسبة ؟

.. الا أن أخطر شيء ... هو اتهامه بالعمالة للشيوعيين .

.. الشيوعيين ؟

.. أنه لايقصد الشيوعيين . وانما يقصد كل من يعارضه وكل من لهم آراء مخالفة ... وسوف نلمس حينما نتتبع كلام اليمين ، أنه بعد هزيمته المرة . لجأ الى سلاح جديد . وهو اتهام كل من يعارضه أنه شيوعى ، وبأنه منظم ، وبأنه عميل لجهات أجنبية .. ويهمنا أن نشير هنا الى أن هذا الاسلوب كانت تتبعه فى الماضى المخابرات الأمريكية حينما كانت تريد تلويث المواطنين الذين يرفضون وصايتها .

قالوا عن عبد الناصر أنه شيوعى حينما رفض الاحلاف العسكرية . وحينما عقد صفقة الأسلحة التشيكيه . وحينما اصدر قرارات التأميم .

.. أى أن اللعبة قديمة .. ولأنهم تلاميذ نجباء .. فهم يصرون على اتباع نفس التكتيكات التى لقنها لهم الامريكان .. ولكنهم غير متطورين .. لان الامريكان أنفسهم كفوا عن استخدام هذا الاسلوب ..

•• انهم يعتقدون أن هذه التهمة كفيلة بابعاد الناس عن صاحبها حتى لايستمعوا له • على أساس أن شعبنا متدين • وهى حيلة سخيفة وقديمة كما قلنا ، ولم تعد تنطلى على الناس •

•• المهم أنهم عادوا لنفس أسلوب أساتذتهم مع استخدام اتهامات العمالة •• ولجأوا الى عملية جديدة وهى التطوع بتقديم بلاغات علنية الى الدولة عن وجود تنظيمات وأحزاب سرية تعمل ضدها • وبالتالى فقد وضعوا أنفسهم فى الوظيفة التى تليق بهم ، وهى « مخبرين علنيين » •

•• بعد اجتماع لجنة الاستماع • بدأت جامعة عين شمس بالقاهرة فى اقامة الملتقى الفكرى الرابع • الملقب « بلقاء ناصر الفكرى » • وقد حضره عدد من المسئولين مثل الدكتور محمد حافظ غانم — أمين أول اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى — والدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الاعلام • وقد هاجم الطلاب مصطفى وعلى أمين • هجوما ضخما • كما هاجموا تلميذهما موسى صبرى بسبب مواقفهما اليمينية الواضحة والمعادية لصالح الجماهير • وكرروا نفس الاتهامات • وان كانوا أكثر كرما حينما طالبوا باعادة محاكمة مصطفى أمين من تهمة التجسس لحساب المخابرات الأمريكية وتهريب عشرين ألف جنيه وتبرئته أن كان بريئا •• وقد نشرت وقائع هذه الاجتماعات فى جريدتى الجمهورية والاهرام •• وأما الأخبار فلم تنشر حرفا واحدا • رغم أن عددا من المسئولين حضروا وناقشوا وهكذا دلل موسى صبرى — رئيس تحرير الأخبار — عن ديمقراطيته الحقيقية !! •

•• وقد عاد على أمين الى الهجوم • ولكن بطريقة مبتكرة ويبدو أنه تخصص فى أضحاكنا •• فكتب فى « أخبار اليوم » بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٨ فى « فكرة » يهاجم الطلاب واتهمهم بأنهم « فئران » ولقب نفسه « بالأسد » • وطالما هو « أسد » وغيره « فئران » فمن الطبيعى أن « الأسد » لا يحارب « الفار » • أى أنه لن يحارب خصومه ويرد عليهم •• وهكذا لجأ الى حيلة « ماكرة » لكى يفلت من المناقشة ويرد على مايوجه اليه • •• الا أنه « أسد » شديد الغرابة • لأنه « أسد بوليسى » أى يكتب تقارير عن الفئران التى يتعفف عن منازلتها ••

•• قال « الأسد » فى فكرته :—

« أن الفيران الصغيرة لا تحارب بعضها . انها تحارب الأسود. فأن الفيران تعرف أن الاسود لن تعدو وراءها . لان كرامة الاسد تمنعه من الجرى وراء فأر صغير . واذا جرى وراء الفأر فسيثير سخرية الناس ! » .

.. الغريب أن الاسد يخشى أن يجرى وراء الفئران حتى لايثير سخرية الناس . ولكنه لايخشى من سخرية الناس حينما يقدم البلاغات العلنية ضد الفئران والامر الاشد غرابة أنه يقدم الينا نوعا من الفئران . هى الفئران المستوردة . أنه يقول عن الفئران على لسان الأسد أنه «يعرف من اين تأكل ؟ من الشرق أو الغرب ؟ من بلاد الثلوج أو بلاد الرمال السوداء ؟ أن الأسود تعرف أنها تواجه فيرانا غير مصرية ! تعرف أنها فيران مستوردة من وراء الحدود » .

.. أنه يريد أن يقول أنها فيران روسية من بلاد الثلوج ، وفيران ليبية من بلاد الرمال السوداء . أى بلاد البترول .. ومانعرفه أن عمليات التهريب تشمل البضائع والسلع الاستهلاكية ولم ولم نسمع عن تهريب فئران !

.. هل نستمر فى المناقشة بهذا الاسلوب ؟

. أنه لأمر مثير للسخرية . فاذا كان أى انسان يتهم معارضية بمثل هذه الطريقة الغريبة . فلن تكون هناك حرية ولا مناقشة .. والشخص الذى يلجأ الى هذا الاسلوب يؤكد ضعف منطقة وحراجة موقفه وبأنه لايجد مايرد به الا الاتهم . وتحويل البلاد كلها الى حديقة حيوان كاملة . ليفلت من المناقشة .

.. كيف يمكن مناقشة انسان يقول عن نفسه أنه أسد ؟ وأن خصومه فيران مستوردة وغير مصرية ؟

اذا .. من هم الفئران المصرية والمعبرة عن تراثنا التى يقبل مناقشتها ؟

.. أنه لأمر يدعو للمرارة .

ويبدو أن على أمين معجب أشد الاعجاب بتعبير الفيران هنا ، أى أنه لم يستخدمه لأول مرة فى هذه الفكرة . وانما استخدمه كثيرا . كما استخدم معه بدرجة أقل تعبير الخفافيش والوطاويط !

•• فى ٧ مايو (آيار) ١٩٧٤ كتب فى فكرته ـ الاهرام ـ يتساءل :

« هل يجوز للاسد ان يقتل فأرا صغيرا تحرش به ؟
هل يجوز للأسود أن تدخل معارك مع الفيران ؟
وفى ١٠ يونيو ١٩٧٤ قال فى فكرة ـ الأخبار :ـ

« ورأيت عمالقة الكذب يتحولون الى فئران • ورأيت الفئران تتسلل الى خارج بلادى وتحاول أن تزرع بذور الكذب من جديد »•
« وفوجئت الفئران ان شعب بلادى لايطيق حشيش الفئران »•

« رحم الله فئران بلادنا • واسـكنهم فسـيح جناته أن كان لهم مكان » •

•• أى أن الفئران ستذهب الى جهنم • والأسود الى الجنة ! أن على أمين يريد ان يفعل كما فعـل عبد الله بن المقفع • فى كتابه « كليلة ودمنة » حينما أخذ يدير حوارات على ألسنة الحيوانات • ولم تقتصر على الفئران والاسود فقط • ولم تكن فى غابته فئران مستوردة •• ولا أسود متهمة بالعمل لحسـاب المخابرات الأمريكية !

هل نستمر فى مناقشة « على بن المقفع » القرن العشرين ؟
•• رحم الله بن المقفع ، فقد كان مفكرا • ليس عنده أسـود يمينية ولا فئران مستوردة !

•• واذا تركنا على أمين وفئرانه وأسوده ووطاويطه وخفافيشه وكل أنواع الحيوانات والطيور التى يود استخدامها فيما بعـد ، والتفتنا الى مصطفى أمين وموسى صبرى وموقفهما من مناقشـات الطلاب • فسنرى أنهما اتخذا نفس الموقف • واتبعا نفس التكتيك أى الاتهام بالشيوعية ، وبالعمالة والتبليغ عن نشاطات سرية •

ففي عدد الأخبار بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٧٤ ـ كتب مصطفى أمين كلمة فى الصفحة الرابعة بعنوان « رياح من وراء الحدود ! » يرد فيها على الطلاب •• بدأها قائلا :

« بعض الشباب الشيوعى يعتبر المسجونين السياسيين من مكاسب الثورة •

وأن الافراج عنهم تفريط فى مكاسب الثورة » .

.. واخذ يكرر كلمة شيوعى مرات عديدة بطريقة خبيثة فى محاولة لتثبيت الكلمة .. مثل :

« ونحب أن نطمئن الشباب الشيوعيين الذين يهاجموننا ».

« ونحن نؤكد لاخواننا الطلاب الماركسيين أنه لاتوجد تركة ».

ومثـل :ـ

« من حق كل طالب شيوعى ان يهاجمنا وأن يتهمنا » .

ثم يختمها قائلا ـ

« أن الذين ولدوا فى العواصف لايرهبون هبوب الريح .. حتى لو كانت الرياح من وراء الحدود ! » .

.. ما هى الاتهامات التى وجهها الطلاب اليه ؟

لم يقل عنها شيئا ..

.. وماذا قالوا ؟ .. لانعرف .

.. لماذا كتب اذا مادام يرفض أن يذكر مايقـوله الطـــــلاب عنه . ويرد عليهم بشكل واضح ؟

.. لانعرف .

ما الذى نعرفه اذا ؟

شيئان .. أنه يتهم كل من يتحدث عنه بأنه شـــيوعى وأن ما يقوله آتى من وراء الحدود أى انهم عملاء .

.. كيف يمكن مناقشتهم ؟ بل كيف يمكن للقارىء العـادى أن يفهم ما يقولون وما يكتبون ؟

ماذا استفاد القارىء والرأى العام . من الأسود والفـــيران والوطاويط والخفافيش . والشيوعيين والعملاء الى آخر هذه القائمة من الحيوانات والطيور والاتهامات ؟

.. وماذا استفاد من الرياح والعواصف والامطار ؟

.. وما معنى كل ذلك ؟

لماذا لا يقول مصطفى أمين .. أن العمـــال والطـــلاب والمثقفين

يتهموننى بأننى جاسوس للمخابرات الامريكية لأن هناك تهمة وجهت لى عام ١٩٦٥ بذلك وحكم على بالاشغال الشاقة ؟

.. لماذا لا يقول ذلك للقارىء ويستريح ويريح ويرد على الاتهامات ويبرىء نفسه ؟

.. لماذا لا يبرىء نفسه ؟

هذه هى المشكلة ..

.. وقفز موسى صبرى هو الآخر مساندا للاسد والعاصفة فى معاركهما ضد الفيران والرياح . فكتب فى نفس عدد الاخبار ـ ٣٠ / ٩ / ١٩٧٤ ـ فى الصفحة الأولى مقالا بعنوان « أصوات من ؟ » .. قال عن الطلاب :

« وعرفت تكتيكهم مقدما لأنه مكشوف لى . الهجوم على مصطفى أمين وعلى أمين أولا ، وكأنهما احتلا منا صبهما فى أخبار اليوم بعدوان مسلح ! ثم استغلال تصرف يوسف السباعى مع مجلة ماركسية نشرت أن ٦ أكتوبر هو حل أمبريالى . وكأن الحرية بلا التزام . والخطوة التالية الهجوم على موسى صبرى لأنه ألف كتابا عن الدور التاريخى لأنور السادات فى ٦ أكتوبر وكأن هذا عمل غير وطنى !! . ويبدأ بعد ذلك استغلال الوضع الاقتصادى ، فى التشهير بالنظام بأنه يتجه الى اهدار الاشتراكية . وحدث كل هذا . ووصفنى الافاضل بأننى « نصاب » ولهم بعد ذلك فى تخطيطهم خطوات وخطوات أعرفها من الآن مقدما » .

.. هذا هو ما رد به موسى صبرى .. بلاغ الى البوليس عن وجود مخطط .. الا أن الشىء الملفت للنظر هو المعلومات والخطط المبيتة التى يتحدثون عنها . وانهم يعرفونها ..

.. من المؤكد ان هناك جهات للأمن هى التى تتولى هذا الأمر . وهى لا يعقل أن تعطى المعلومات لموسى صبرى ومصطفى أمين وعلى أمين لينشروها علنا . لأن هذا اخلال بمبدأ السرية . ولأنه سيؤدى الى تنبيه المتآمرين بأنهم مكشوفين وتحركاتهم معروفة فيلجأون الى الحذر .. وهذا أمر لا يمكن أن تلجأ اليه أجهزة الامن .

.. من أين أذن حصلوا على هذه المعلومات التى تحتاج الى جيش من المخبرين والمحللين ؟

.. اننا نعلم ان أجهزة الامن تتبع الدولة · وليس هناك أجهزة أمن تابعة للقطاع الخاص ·· بحيث يمكن أن يشتروا منها هـــذه المعلومات !!

·· أننا سنجد هذه السمة بارزة بشكل واضح جدا · فى جميع كتابات اليمينيين .. معلومات عن مؤامرات وتنظيمات وخطط تدبر · وبلاغات علنية تحرض الدولة ضـــد كل من يخالفهم فى الرأى ··

فأين هى الديمقراطية التى يتشدقون بأنهم حملة شـعلتها والمدافعين عنها ·· ؟ وما هو مفهوم هذه الديمقراطية التى تؤدى الى سجن خصومهم ؟ ·

٣ ـ محاكم للهمس والتحريك والبلبلة

·· لا نهاية لبدع وأفانين اليمين فى المحافظة على الديمقراطية وصيانتها ·· انه لم يقتصر على القيام بدور المخبر العلنى · وتوجيه تهم العمالة لكل من يخالفونه الرأى واتهامهم بالشيوعية · كما كانت تفعل فى السابق المخابرات الامريكية ، دون أن يلاحظوا التطـور الذى حدث فى أساليب الامريكان ·· وانما ظهر فريق أو جناح اخر تقدم باقتراحات اخرى ·· تتلخص فى ضرورة تصفية كل الاقلام والتيارات السياسية المخالفة لهم ·· وبطبيعة الحال · فكل مخالف لهم · يعتبر شـيوعيا عميلا ، أو ناصريا من عملاء مراكز القوى · أو صاحب فكر « مســتورد » يتنافى مع فكر وتراث بيئتنا التى لا يعرفها الا هم ·· انهم طالبوا بمحاكم تفتيش من نوع جديد · وهى محاكمة وطرد الذين « يهمسون » والمشكوك فيهم حتى ولو لم يتكلموا ··

·· تقول لنا الروايات والحكايات عن محــاكم التفتيش فى القرون الوسطى ·· ان الصراع وصل الى درجة أن يأتى الزبانيـة بمن يشتبهون فى أنه يحمل فكرا غير فكر الحكام ·· ويعقدون له محاكمة · ويأتون بشهود ·· ويقولون له « انك يافلان تضمر فى نفسك الشريرة آراء الزنادقة · وكيت وكيت ·· وأنت تفكر فى كيت وكيت » ·· وهناك شهود على ذلك · وفعلا يوجد شـــهود يقولون للمحقق « نعم ضبطناه يفكر فى كذا وكذا » · وعلى المسكين

أن يثبت أنه لم يكن يفكر في كذا ‥ وكذا ‥ والا ‥ فسيتعرض للموت فوق الخازوق ، أو يلقى به الى النار أو تقطــــع رقبته جزاء جريمته ‥

‥ عرف التاريخ الانساني فترات كان الناس يؤخذون فيها بالشبهات ‥ ويتعرضـــون للتنكيل والتعذيب والتشريد والموت بسبب بعض الوشاة من أســافل وأحط خلق الله ، ومن مخلوقات امتزجت نفوسها بنوازع الشيطان حتى أصبحت صورة منه ٠ لا هم لها الا ايذاء الناس والشماتة في مصائبهم ‥ بعد أن يكونوا قد جلبوا لهم المصائب ‥ فحين قامت هيئة النظام في الاتحاد الاشـــتراكي باصدار قوائم احالة على المعاش وعلى هيئة الاســـتعلامات لأكثر من مائة صحفي وكاتب في شهري فبراير ومارس (شباط ـ آذار) من عام ١٩٧٣ ، دون أي تحقيق أو محاكمة أو توجيه أي اتهامات لهم ‥

‥ خرجت جماعة اليمين وعلى رأسها صالح جودت وابراهيم البعثي وابراهيم الورداني واخوانهم ، خرجوا يصـــفقون ويهللون ويتراقصون بجنون وشماته حول جثث زملائهم ، فكتب صـــالح جودت كلمة في مجلة الهلال الشـــهرية يطالب الهيئة « مزيد من القوائم يا هيئة النظام » ‥ وطالب فيهـــا بتشريد وطرد المزيد من الصحفيين وخاصة ان لديه قوائم أخرى ، وابراهيم البعثي ذهب الى ليبيا في مؤتمر مذاع على الهواء يقول أن الذين طردتهم هيئة النظام من الكتاب والصحفيين هم عملاء للاتحاد السوفييتي والمانيا الشرقية وكوريا ‥ وغيرها ‥ أي أننا ـ بصفتي كنت واحدا منهم ـ عملاء دوليين !! وشهدت الصحف والمجلات المصرية وخاصـــة دار الهلال والاخبار والجمهورية كتابات لا يمكن تخيلهـــا ٠ ولا يمكن افتراض صدورها عن بشر ، وكانوا مغتاظين لأن الرئيس أمر بصرف مرتباتنا كاملة وأن لا يضار أي أحد في دخله ، وكتبوا محرضـــين الدولة والاجهزة عن أننا ـ رغم ما حدث ـ نجلس في نقابة الصـــحفيين ونضحك ! واننا نسير في شوارع القاهرة ! ونجلس في فنـادق الدرجة الاولى كما صاح أحدهم ! ٠ وهذه مسألة تثيرهم ‥

‥ هل أطلنا وخرجنا عن الموضوع ؟ ‥

لا ‥ لأن هذه المقدمة ضرورية حتى ندرك اســـتمرار الخط الرامي لتصفية كل المثقفين المستنيرين سواء من أهل اليمين الوطني

العريق ، أو أهل اليسار بكل فئاته لحساب الجهل والتجهيل ·· ولأن ما حدث بعد أكتوبر كان أستمرارا لنفس الخط السابق ·

·· فى عدد المصور الصادر بتاريخ ٨ مارس (آذار) عام ١٩٧٤ كتب الاستاذ صالح جودت مقالا بعنوان « بل هى شرعية جديدة » افتتح فيها حملة محاكم التفتيش ، اذ أخذ يسب عبد الناصر وعهده · والبلايا والمصائب التى نزلت فوق رؤوسنا بسببه · قال أنه بعد حركة التصحيح فى مايو (آيار) ١٩٧١ ، أصبحت هناك شرعية جديدة · لابد من حمايتها ·· أما كيف يمكن حمايتها · فهو يتقدم بالاقتراح التالى ·· يقول :

« اكتب هذا بكل ايمان بمصر العربية · اكتبه وأنا أعلم أن كثيرا من اللعنات ستنصب على رأسى · هى لعنات الذين لا يدينون بالولاء للحضارة المصرية ، ولا للشارع العربى ، من تجار الشعارات الزائلة · الذين يصرون على عودة الماضى بكل صفحاته السوداء · وأنا لا أتهيب هذه اللعنات · لأنها لعنات مرفوضة من السماء · ولكن أخشى ما أخشاه أن تعمل لهجاتهم وهمساتهم وتحركاتهم على بلبلة الافكار حول حديث الشرعية · ولهذا أطالب مجلس الشعب ـ بوصفه السلطة الدستورية العليا فى البلاد بأن يصدر التشريعات الكفيلة بالحفاظ على هذه الشرعية الجديدة التى قامت فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ووثقت فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ · ولست استهدف بمثل هذه التشريعات عودا الى كبت الحريات · ولا الى فتح أبواب السجون والمعتقلات من جديد · فقد انتهى ذلك العهد وسقطت شرعيته · ولكننى استهدف بهذا التمييز بين المواطن الصالح والمواطن غير الصالح بين المواطن البناء والمواطن الهدام ·· حتى يحتل الاول موقعه فى معركة المستقبل · ويقصى الثانى عن موقعه حماية لهذا المستقبل العزيز » ··

·· طبعا · اذا استثنينا الطابع الفكاهى فى الموقف والناشىء عن مصدر هذا الاقتراح · وهو شاعر ومداح الملك وشاتمه بعد ذلك · وشاعر ومداح ناصر ثم عدوه فيما بعد ، اذا استثنينا ذلك ·· فسنجد اننا أمام شخص يطالب علنا وعلى رؤوس الاشهاد باقامة محاكم تفتيش جديدة ، والعودة بمصر الى القرون الوسطى ، واخذ الناس بالشبهات ·· ويطالب مجلس الشعب بأصدار تشريعات تحدد مواصفات الانسان البناء والهدام · لحماية النظام من « اللهجات

والهمسات » وبناء على هذا الاقتراح · فالمســألة تحتاج الى محاكم وقضايا وشهود · لمحاكمة الهامسين ، وأصحاب اللهجات التي تؤدى الى البلبلة قبل اصدار الحكم بالاقصاء عن العمل ، اذاى قد يفاجأ أى انسان بالشرطة تقبض عليه · وتقدمه للمحاكمة تحت بند « التخريب باستخدام الهمس » أو مقاومة السلطات العامة والعمل على قلب نظام الحكم بواسطة أســاليب محرمة ومحظورة « كاللهجات المبلبلة » ·
أو قد نسمع عن اكتشاف تنظيم سرى « للهامسين والمشككين » ··
وفي المحاكمة على الانسان أن يثبت انه لم يهمس ·· وأن لهجته لم تكن من النوع أياه الموجود في القانون ، وعلى ســلطات الادعاء أن تاتى ، حتى تكون المحاكمة عادلة ومستوفاه للشروط ·· بالشـهود الذين ضبطوا المتهم ، « يهمس ويبلبل » · أو حاول تحريضهم عـلى الدخول في تنظيم مهمته « الهمس والبلبلة » وعلى المباحث ان تقـدم أشرطة عليها « همسات ولهجات مبلبلة » ، وهذا يحتـاج الى اختراع أشرطة جديدة من نوع خاص · تسجل « الهمس · والبلبلة » ··!!
·· وهكذا نجد أن صالح جودت يريد أن يربك الدولة كلها · ويجهد العلماء والمخترعين بسبب اقتراحاته العبقرية ··
·· ويبدو أن هذا العبقرى ، وصل به الامر بالاعجاب باقتراحه مبلغا شديدا جعله لا يمل من ترديده · اذا عاد بعد اســبوعين من التقدم باقتراحه · الى تكرار الاقتراح فى عدد المصور الصادر بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٧٤ فى مقالة بعنــوان « لا أتكلم عن الماضى » ·· قال فيه : ـ

« ولكن الخطـــــر الاكبر الذى يرتسم فى كل عين مصرية · متربصا بالحاضر ، متحفزا للوثوب عليه ، متآمرا على منجزاته الطيبة وانتصـــاراته البطولية وتطلعاته المتألقة ، لا يتمثل فى بقايا الماضى وحـدها ، بل فى فئة أخـرى موزعـة بين القاهرة وغير القاهرة من العواصم العربية · تهمس فى الداخل ، وتعلو أصواتها فى الخارج »·
·· ويقول عن ضرورة حماية الحاضر :

« وصحيح أن أنور السادات نفسه ضمان لحماية الحاضر ولكننا ـ لكى نصون هذا الضمان ـ يجب أن نحمى أنور السادات نفسه ·· بكل قيمه وانجازاته وآماله · ممكن يكيدون له بالهمس والتحريك · هنا فى مصر · وبالجهر والتشهير خارج حدود مصر · يجب أن نحميه منهم · لا بالفصل ولا بالاعتقال ولا بالتشريد ولا بالتجويع · وانمـا

نريد ان نحميه منهم في ظل سيادة القانون باقصـــائهم عن مواقع التأثير في المجتمع ، وباصدار التشريعات اللازمة لسلامة المجتمع ·· وطهارة المجتمع ، ومسيرة الحاضر الفاضل الى مستقبل أفضل » ·

·· هناك مطلب رئيسى من وراء هذه الاقتراحات التى يتقـدم بها صالح جودت الى مجلس الشعب · وهو ضرورة أبعاد الصحفيين والكتاب التقدميين وذوى الآراء المخالفة من ميدان العمل الصـــحفى والثقافي · حتى يخلو لهم الجـو · وهذا المطلب لم ينفرد به عبقرى القرون الوسطى والمطالب بمحاكم الهمس والبلبلة . وانما شاركه فيه باقى افراد المجموعة اياها .. اى انه مطلب جماعى لهم . فكتب أحدهم . وهو على الدالى فى جريدة الجمهورية عمودا بعـــنوان «الشرعية الاشتراكية» بتاريخ ١٤ مارس ١٩٧٤ فسر به حـــرية الصحافة قائلا :

« واذا كانت حرية الصحافة هى حرية الجميع ، اى جميع الاقـــلام فان المصلحة القومية والوطنية تحتم أن تكون للاقلام التى لاتعبر عن مصالح الشعب ومجموع الشعب العامل · والتى يزعم أصحابها أنهم الامناء والاوصياء على الاشتراكية تحتم المصلحة الوطنية والقومية · ان يكون لهذه الاقلام منابرها الخاصة ، أى صحفها ومجلاتها الخاصة · والتى تصدر بأموال هؤلاء الكهنة الاشتراكيين وليس بأموال الشعب ، أو باسم الشعب » ·

·· فى حقيقة الامر · فنحن لانعرف من الذى نصبه متحدثا باسم الشعب ، ولا من نصبه مسئولا عن وزارة المالية · انه ادعاء لايجرؤ عليه حتى عضو مجلس شعب ·· ولكنه بعد أن نصب نفسه مسئولا عن الشعب المصرى وعن أمواله وكيف تصرف وبعد أن جعل نفســه معبرا عن الامال الوطنية والقومية · طالب بابعاد « الكهنوت » عـــن الصحافة وطردهم منها · وأن يصدروا صحفا ومجلات على حسابهم الخاص !! ·

·· لماذا ؟ لانهم لايعبرون عن الشـــعب ولا عن آمالهم الوطنيـــة والقومية · أى أن الكهنوت خائن وعميل نتيجة هذه الحسبة السريعة التى أجراها المتحدث باسم الشعب المصرى ·

·· ومن هو هذا الكهنوت الذى يعنيه ؟ انهم ادعياء الاشتراكية ؟ وكيف نعرف أن المنادى بالاشتراكية دعى او غير دعى؟ علينا أن نعود

حاكم الهمس والبلبلة ، وتعريف المواطن البناء والمواطن الهدام · لتى قال بها صالح جودت ·

·· وعلى كل فان نقطة الضعف الوحيدة فى اقتراح السيد/على الدالى والتى قد تؤدى الى رفضه أو تأجيل العمل به · هى أنه يطالب بصحف ومجلات للخونة · وعلينا أن نحاسبه على ذلك · اذ كيف يطالب بالسماح للخونة بالتعبير عن خياناتهم ؟

·· ويبدو أننا سننساق وراء اغراءات مناقشة كل اقتراح على حده ، وبجدية شديدة · حتى نجد أننا قد تحولنا الى السخريه والتهكم والهزل واضحاك القارىء على كتاب اليمين وعباقرته ، ونخرج بذلك عن حدود الموضوعية ·· وحتى لانقع فى هذا الفخ اليمينى الفكاهى ، فاننا سنكف عن مناقشة الاقتراحات الاخرى ، وسنكتفى بعرضها · وعلى من يريد السخرية والمناقشة ، أن يفعلها من تلقاء نفسه مع التنبيه بأنهم يقصدون ـ بالماركسية والشيوعية ـ كل من يعارض آرائهم ·

·· فى عدد مجلة الثقافة التى يرأس تحريرها يوسف السباعى · كتب نائبه عبد العزيز الدسوقى فى عدد سبتمبر ١٩٧٤ ، قائلا :

« على أن الذى زاد فى سعادتنا بصورة مضاعفة مالاحظناه من انزعاج الفلول الباقية من خدام مراكز القوى وبعض اصحاب الانتماءات المعينة الذين فرضتهم الظروف السياسية فى عقد الستينات · عقد الهزيمة اللعين على قمة الحياة الادبية والفكرية · ومن الغريب أن هؤلاء وهؤلاء هم الذين أفسدوا الحياة الثقافية · وخربوا مؤسسات المسرح والسينما والنشر · وحولوها الى انقاض لانزال حتى الان نعانى مما احدثوا من دمار · ونحاول ان نرفع الانقاض ونطهر الارض ـ ولهؤلاء قصة يجب ان تروى بصراحة وبالاسماء حتى لايذرف عليهم بعض المخربين دموع التماسيح مرة أخرى · ولقد حاربت هذه الفلول الضائعة من قطاع الطريق الادبى مجلة الثقافة ، بكل الاساليب · بالهمس النجس · وباللمس الرخيص · وبالهجوم المنظم » ·

·· وفى جريدة العمال الاسبوعية الناطقة بلسان الاتحاد العام للعمال · كتب فيها أحمد حرك · وهو صحفى مسئول عن تحرير الجريدة · فى عددها بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ :

« أن يكون لكل واحد فكره الخاص · فهذه حرية وحق · وأن يتكلم كل واحد ويكتب ليعبر عن هذا الفكر فهذه أيضا حرية وحق · سواء كان هذا الفكر ماركسيا أو ماديا أو راديكاليا أو حتى فكرا قادما من المريخ · ولكن أن يطالب صاحب هذا الفكر بأن تستخدم أموال الشعب في خدمة هذا الفكر فهذا ليس حقا ولا حرية · لان الشعب ليس فى حاجة الى فكر لاينتمي أولا وأخيرا الى مصر · واذا لم يستطع الماركسيون مثلا أن يوجدوا منبرا لهم بجهدهم الذاتى فلا يطالبون الشعب ان يخلق لهم هذا المنبر ليقولوا من فوقه كلاما لايفهمه الا هم ولا يعبروا فيه الا عن انفسهم » ·

·· وفى جريدة الجمهورية كتب محمد دياب بتاريخ ١٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ ، يحيي وزير الثقافة يوسف السباعى فى اجراءاته القمعية ضد هيئة تحرير مجلة الكاتب ويقول :

« وبعبارة محددة وجد وزير الثقافة أن مجلة الكاتب تحولت الى منبر خاص للاتجاه الماركسي · فأراد أن يحميها من هذا المنزلق · ويوفر لها جو الديموقراطية الثقافية الذى تتعدد فى ظله المنابر · فهل تجاوز الوزير حدوده ؟ هل اخطأ فيما ذهب اليه ؟! العكس هو الصحيح · ولو لم يفعل يوسف السباعي مافعله لكان خليقا بأن يكون موضع محاسبة ومساءلة !! ان وزارة الثقافة ليست مكلفة بانشاء مجلة ماركسية تصرف عليها من أموال الشعب · والشعب المصرى ليس فى حاجة الى ثقافة ماركسية » ·

« الا يتباهون فى صحف بيروت وغيرها بما احرزوا من نجاح صحفي ؟ · الا يقولون أنهم يقودون فى مصر الان ثلاث مؤسسات صحفية كبرى ؟ فلماذا التمسح اذا بوزارة الثقافة ؟ فيم هذه القيامة التى قامت بلا موازين ضد وزير الثقافة ؟ كل ماأردته كلمة لوجه الله والحق فى وجه كلمات للشيطان والباطل » ·

·· وفى عدد المصور بتاريخ ١٠ يناير (كانون ثان) ١٩٧٥ كتب ابراهيم البعثى بلاغا علنيا عن مخطط التخريب · وتفاصيله · ثم وصل فى نهاية المقال الى غرضه الحقيقى حينما قال فى مطالبه التى تقدم بها :

« ثالثا ـ الاسراع فى تنظيم الصحافة بحيث لايبقى للماركسيين وتجار الاشتراكية كل هذه السيطرة التى وصفها أحدهم فى صحف

بيروت قائلا انهم يسيطرون فعلا على ثلاث مؤسسات صحفية ولم يبق الا جيبان جارى تصفيتهما » .

ملحوظــــــة

المؤسسات التي يتحدثون عن أن الماركسيين يسيطرون عليها هي : روز اليوسف وكان يراســـها عبد الرحمن الشرقاوى . والجمهورية وكان يراسها مصطفى بجهت بدوى وهو غير ماركسى . والاهرام وكان يرأس تحريرها وقتها ، أحمد بهاء الدين وهو غير ماركسى وجميعهم عينوا بقرار من الرئيس السادات .

.. هذه هي ديموقراطيـــة اليمين التى يتبجح بالاعلان عنها .. ديموقراطيته وحده . القائمة على الهجوم على الناس ومنعهم ـ رغـــم حقهم السياسى والقانونى ـ من رد الافتراءات . وهى ديموقراطيـــة قائمة على الجهل والكذب وتحريض السلطات وتقديم البلاغات ضـد كل من يخالفهم الرأى وتوجيه الاتهامات السياسية الساذجة بدلا من المناقشة . وهي ديموقراطيـــة تطالب بمحاكم للهمس والبلبلة » . وبوضع قوانين لتعريف المواطن الصالح والمواطن غير الصالح . كما أنها ديموقراطيـــة لن تستوفي شروطها الا اذا تم عزل كل الكتــاب التقدميين وأصحاب الرأى الحر القائم على ثبات المبدأ . لا التلون ..

.. انها ديموقراطية ظريفة ومبتكرة ..

.. ألسنا في زمن العجائب ؟!

مـــــلاحق

لمــاذا ساءت العــلاقات بين القصر والوفد ؟
آداب الســـلوك أمام المــلوك

بقلم : مصطفى امين

فى الاسبوع الاخير من شهر يوليو ١٩٤٢ ، كتبت مقالا فى مجلة « الاثنين » ، أحيى فيه حضرة صاحب الجـلالة الملك بمناسبة ذكرى توليه سلطته الدستورية ، وكان المقال عاديا ، وصفت فيه شعورى نحو ملك البلاد ، وهو شعور كل مصرى ..

وكان طبيعيا أن يجيز الرقيب المقال ، فليس فيه انتقادة للوزارة ، وليس فيه مديح لخصم من خصوم الوزارة ، وليس فيه مهاجمة لنائب وفدى ، وليس فيه شكوى من التموين أو مطالبا بالجلاء .. وهــذه كلها كانت ممنوعات لاتجيز الرقابة نشرها بأمر صـاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا الحاكم العسكرى !!

ولكننى دهشت عندما طلب رقيب المجلة عـرض المقال على مدير الرقابة ، وعندما حمل الاستاذ الشـافعى البنـا رقيب المجــلات الاسبوعية ، مقالى الى رفعة الحاكم العسكرى ليعرضه عليه ؟.

وهالنى بعد ذلك أن علمت ان رفعته أمر بأن يعرض عليه شخصيا، كل ماأكتبه عن جلالة الملك !

وفى اليوم التالى حضر الاستاذ الشافعى البنا يحمل المقال ويقول ان رفعة النحاس باشا أمضى الليل كله ، فى حذف وتعديل المقال ، ورأيت المقال ، فاذا باغلبه محذوف بخط صاحب المقام الرفيع !

وحذف رفعة الحاكم العسكرى قولى: ان لى أن ارى ملكا حرا يحب الاحرار ويكره الطغيان ، ملكا شابا يشعر باحساسنا ، ويتألم لآلامنا » !!

وحذف رافعة الحاكم العسكرى قولى : «ان الملك فتح قصره لكل الاحزاب ولكل الزعماء، فليس للملك حـزب لان مصر كلها حــزبه ، وليس له رجال لان المصريين كلهم رجاله !

وحذف رفعة الحاكم العسكرى كل كلمة فيها اشـادة للملك ، أو أضـاف اليها ــ وحكومة جـلالته ــ فاذا قلت مثلا ، ان الملك أظهر

شجاعة فى حادث العلمين ، أضاف النحاس باشا بخط يده ــ ان الملك وحكومة جلالته أظهرا شجاعة فى حادث العلمين ، وهكذا كل كلمة ثناء ، أصر رفعة الحاكم العسكرى أن يكون له نصيب « بالنصف » فى المدح والثناء ! .

وحذف الحاكم العسكرى ان الملك فاروق « ملك دستور لايرضى بالدستور بديلا ، وان الدستور لم يعطل فى عهده يوما واحدا » .

اوامر الرئيس :

لم أصدق ان صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا تبلغ به الجرأة ، ويبلغ به الاستهتار ــ ولا أقول كلمة أخرى . فيحذف بيده التحية الموجهة الى ملك البلاد ، قلت للاستاذ شافعى البنا انى فى دهشة وفى عجب ، فسكت ثم قال هذه أوامر رفعة الرئيس وان الرئيس قال لى ان أبلغك انه هو الذى حذف بنفسه هذه العبارات ، لانه وجدها لاتتفق مع مقام جلالته .

وقلت ولماذا يحذف النحاس باشا ــ ان الملك يكره الطغيان ــ ان الملك جورج الخامس ملك انجلترا قال فى رسالته لشعبه انه يكره الطغيان .. وليس المقصود بالطغيان النحاس باشا ! .

فسكت ولم يرد .

قلت وكيف تحذفون والملك يفتح قصره لجميع الزعماء والاحزاب ، فقال : ان رفعة الرئيس فهم من هذا ان ابواب القصر مفتوحة للمعارضين أيضا .

قلت طبعا ان القصر مفتوح للمعارضين والمؤيدين .. أليس المعارضون مصريون ؟ أتريدون ان تحرموهم من جنسيتهم المصرية ، لانهم يعارضون الوزارة .. أريد أن أقول أن الملك فاروق ملك الجميع ! .

فسكت الاستاذ الرقيب ، وأبدى اسفه بهز راسه .

قلت : ولماذا يحذف النحاس باشا « ان الملك دستورى . وان الدستور لم يعطل فى عهد الملك فاروق » .

فقال الاستاذ الشافعى : ان النحاس باشا يقول ان معنى هذا

ان حكم محمد محمود ، وعلى ماهر ، وحسن صبرى ، وحسين سرى ، كان حكما دستوريا ٠٠ ولم تكن الرقابة فى عهـــدهم كما هى الان ، ولم تكن الجرائم ترتكب نهارا كما هو الحال و ٠٠٠ و ٠٠ الخ » ٠

فقال الاستاذ الشافعى : ان النحاس باشا يقول انه كان مبعدا عن الحكم وقتئذ ، وبناء عليه فليس هذا حكما دستوريا !

قلت ماشاء الله ، هناك حكم دستورى ، مادام مصـــطفى النحاس رئيس وزارة فاذا خرج من الحكم فلا دستور هناك !

وكان الاستاذ الشافعى محرجا ، وكان الحق يقال غير راض عن هذه السياسة التى تسير فيها الوزارة ، وكان يوافقنى انها ستودى بهم جميعا الى الهلاك ٠٠

وعندئذ قلت له : اننى سانشر المقال كما كتبتــه ، ولن أحـــدث التعديلات التى طلبها النحاس باشا ، وليكن مايكون !

وكتبت الى رئيس ديوان جلالة الملك ، وأرفقت المقال المحذوف ٠ وعجب القصر ، وأوفد سعادة الفريق محمد حيدر باشا ياور جلالة الملك الى معالى صبرى أبو علم باشا سكرتير الوفد ، والمسئول عـن الصحافة وقتئذ ليسأله عن الحكاية ٠٠

واذا بصبرى باشا يعترف بأن النحاس باشا هو الذى حـــذف المقال ، ويقول أن النحاس باشا لايوافق على القول ، بأن الدستور لم يعطل فى عهد الملك فاروق يوما واحدا ٠٠ لانه يعتبر المدة التى كان رفعته فيها خارج الحكم فترة غير دستورية ؟

وأفهم حيدر باشا بلهجته العســـكرية صبرى باشـــا ، ان هـــذا التصرف غير لائق ، وانه سيكون له نتائج خطيرة ، وارتعد صـــبرى باشا ووعد بنشر المقال كما هو !

وبدأت الجريدة تستعد للطبع ٠٠٠ واذا بمكتب الحاكم العسكرى يتصل تليفونيـــا بالجريدة ويطلب حـــذف الفقرة الخاصـــة بالملك الدستورى ، فابيت حـــذفها ، واذا البوليس يحيط بالمطبعة ويمنع دوران ماكينة المطبعة ! واذا بمندوب النحاس باشا يصر على حـــذف الجملة الخاصة بالملك الدستورى المحب للدستور ؟ ٠

ماذا حدث ؟ ٠٠٠ الذى حدث ان النحاس باشا اتصـــل ، وبعد ان

تأكد ان الحالة الدولية تستلزم بقائه رئيسا للوزراء ، استأسد من جديد ، وأصر على حذف الجملة !

لعلك تعجب لهذا التصرف ؟ لعلك تدهش لوزير الملك الذى يحذف بيده تحية الملك ! ولكن قد تزداد دهشتك اذا علمت أن النحاس باشا كان يعتبر كل من يمتدح الملك انما يشتم النحاس باشا ، وكل من يحيى الملك انما يقنف فى حق الرئيس الجليل ، بل كان رفعته يريد أن يحتكر لنفسه كل مديح وكل تحية ، وكل بيت من الشعر !

وتبع هذا ان اتصل بى أغلب اصحا بالمعالى الوزراء ، واحدا واحدا يقول لى النحاس باشا قرر أعتقالى بسبب هذا المقال ، ولكنهم نصحوه أن لا يفعل ، لان الناس ستقول انى اعتقلت لانى مدحت الملك فاروق ! ٠

واتصل بى الاستاذ احمد الوكيل كذلك . وابلغنى انه هو وحده الذى أقنع النحاس باشا بعدم اعتقالى ! ٠

مدح الملك مخالف للدستور :

بل أكثر من هذا ٠٠

كتب الاستاذ محمود سليمان غنام وزير التجارة ٠٠٠٠ فى مجلة آخر ساعة بامضاء و ٠ ت ٠ وقد تعجب لاختياره هذا الامضاء المستعار ، ولكن لتعرف عقلية معاليه ، فاعرف أن السبب هو ان الواو والتاء هى أول حرف من « وزير التجارة » !

وذات يوم كتب مقالا يقول فيه : ان مدح الملك مخالف للدستور ٠ وانه لايجوز ان تقول الملك وطنى ، أو انه صالح ٠ أو انه المصرى الاول ٠ وان كل مديح فى الملك هو اعتداء على الدستور ! والمقال مكتوب باسلوب الاستاذ غنام ، واسلوبه مثل شخصه ، ليس فيه ذوق سليم !

وألح الاستاذ غنام على مجلة ـ آخر ساعة ـ لتنشر المقال ، وأعطت الجريدة المقال للرقيب راجية حذفه ، وقالت له ان كاتبه هو معالى وزير التجارة ! وحمل الرقيب المقال الى معالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية وكان المفهوم أن معاليه سيحذف المقال و « يكفى على الخبر مأجورا » ، ولكن معاليه شاء أن « يطربقها » على رأس زميله ٠

العزيز ، فارسل المقال الى القصر الملكي مع الاستاذ الشافعي البنـــا وكيل المطبوعات !

حتى يعرف القصر ماذا يكتب زميله في الوزارة ، عن ملك البلاد الشرعي من « الجليطة » وقلة الذوق !

هـــذا بعض ماكان يفعله الوزراء غير الشرعيين نحـو ملك البلاد الشرعي ! ٠

والعجيب ان كل واحد منهم كان أمام النحاس باشـــا يؤيده في سياسته ، حتى اذا خرج قال لنا انه غير موافق على هذه السياسة ٠

كان أمين عثمان باشا يقول لنا هذا ٠

وكان يقول فؤاد سراج الدين باشا ٠

وكان يقسم عليه الاستاذ عبد الحميد عبد الحق ٠٠ وكان يثبتـــه المرحوم الدكتور عبد الواحـــد الوكيل ، وكان كل وزير ينتحي بك جانبا ، ويؤكد لك أنه مخالف للنحاس باشا في تصرفاته ٠ ولكـــن النحاس باشا اليوم ينكر انه سمع من واحد من هؤلاء غير المدح والثناء والتأييد ٠

وفي الاسبوع القادم ستقرأ كيف ان النحاس باشـــا كان يطالب الوزراء بأن يرفضوا دعوات الملك لهم لتناول الغذاء ! ٠

ـ اخبار اليوم ـ

١٩٤٤/١٢/٢

لكي لا ننسى

شهر مايو فى التاريخ

بقلم : الدكتور أحمد شلبى

في منتصـف مايو من هذا العام (١٩٦٧) وقبلـه بقليل كانت اسرائيل تحتفل بمرور تسعة عشر عاما على قيامها فى الوطن العربى ، وكانت هناك فى الدولة الدخيلة طبول ورقص وموسيقى ، ثم كـان هناك شىء أقسى من هذا وأخطر ، هو تبجح واستفزاز يصـنعان فى واشنطون ، ويباركان فى لندن ويظهران في تل أبيب ، واتجـه هذا التبجح تلك المرة الى سوريا الحبيبة قلب الوطن العربى ورفيقة مصر على مر التاريخ ، ووصل هذا التبجح الى مداه عندما أعلن أن هدفـه دمشق الفيحاء . ياللـه ! ..

وبينما كان القوم يترنحون في نشوة هذا الامل ، كان المارد العربى يعد عدته ثم أخذ يضرب ضرباته القوية ، وتلاحقت هذه الضربات ، فما كـاد العـدو يفيق من ضربة حتى تلتها أخـرى ، واتجهت انظار العالم الى مصر ، وطغت أخبارها عـلى كل الاخبـار ، وتضـاءلت كل الازمات فى العالم أمام الازمة التى كبت فيها اسرائيل من جراء ضربات الرئيس الموفق جمال عبد الناصر ، وانقلبت الموسـيقى الى أنين فى الارض السليبة ، وانقلب الرقص الى ذعر ، أما الطبول فلم يعد يشبهها الادقات قلوب هذه العصابة الاثيمة التى وضعتها القوى الاستعمارية فى الشرق لتكيد للشرق وللعرب والمسلمين ، ولكن هؤلاء ضـيقوا عليها الخناق ، وهم فى سبيلهم للقضاء عليها .

استميح القارىء العفو ، فقد خرجت عن نطاق المؤرخ الذى شيمته

الحياد ، وانطلق قلمي عربيا اسلاميا ، ولم يكن لي غير ذلك فالدنيا حولي ، في بيتي وبين أفراد اسرتي ، وفي الضاحية التي أسكنها وفي القاهرة الحبيبة ، وفي بلادى المصرية والعربية ، أقول ان الدنيا حولي تموج بالفرح والرغبة في الثأر الذى يرمي لاحقاق الحق واعادة الحقوق الى اصحابها · وقد انتفض الناس جميعا ، كأنما هبوا من سبات متطلعين الى الميدان ، وأصبحت اغاني الحرب هي أعذب الاغاني وأحاديث الحرب هي أجمل الاحاديث وقمت مع المكافحين بدورى ، جندت قلمي ولساني وأهلي ومالي لادافع عن الوطن وعن تاريخه وعن شرفه ولارد السهم التي تلقيناها سنة ١٩٤٨ ، الى نحور الاعداء ·

مشكلة الملاحة بخليج العقبة وتاريخها :

ـ اتفقت الحكومة المصرية مع المملكة العربية السعودية ، على ان تقوم القوات المصرية باحتلال جزيرتي (صنافير) و (تيران) وهما الجزيرتان اللتان تتحكمان في مدخل خليج العقبة ، وجزيرة تيران جزء من الوطن المصرى ·

وقد احتجت السفارة البريطانية على هذا الاجراء فى ١١ يوليو عام ١٩٥١ ·

ـ قامت القوات المصرية بتركيب مدفعية سواحل في منطقة (رأس نصراني) سيطرت تماما على الملاحة في الخليج ، وأصبح المرور بهذا المضيق خاضعا لاشراف مصر ، ولم يصرح لاسرائيل أن تستعمل هذا المضيق على الاطلاق ، واخذت مصر منذ ذلك التاريخ تباشر حقها في تفتيش كل السفن التي تريد عبور مضيق تيران ، وقد حدث في شهر يوليو ١٩٥١ أن خالفت السفينة الانجليزية (امباير روتش) التعليمات الخاصة بالمرور فأوقفتها السلطات البحرية وحجزتها ٢٤ ساعة ووضعت حرسا عسكريا على ظهرها ، وقد احتجت السفارة البريطانية على هذا الاجراء في ١١ يوليو عام ١٩٥١ ·

ـ وفي ٢٩ يوليو ١٩٥١ ، قدم السفير البريطاني بالقاهرة مذكرة الى وزير الخارجية المصرية موضحا فيها · استعداد حكومة المملكة المتحدة بقيام السلطات الجمركية المصرية في السويس بالقيام باجراء التفتيش على السفن غير الحربية التي تبحر الى ميناء العقبة

على أن تقوم السلطات الجمركيــة باخطار الســلطات البحرية في جزيرة (تيران) حتى لاتقوم بزيارة هذه السفن وتفتيشها مــــرة أخرى •

ـــ وقد وافقت وزارة الخارجية المصرية على هذا الاجراء في نفس اليوم ، وجاء في كتاب وزير الخارجية ان هذه التدابير الاجراءات (مطابقة لحقوق مصر في موانيها ومياهها الاقليمية) ، وبذلك تكون المملكة المتحدة قد اعتبرت الاجراءات التي اتخذتها السلطات المصرية بخصوص الملاحة في خليج العقبة اجراءات مطابقة لاحكام القانون الدولي •

ـــ حاولت اسرائيل في عام ١٩٥٤ ؛ أن تحصل من مجلس الامن على قرار بأحقيتها في المرور بقناة السويس وخليج العقبة ، ولكن مجلس الامن لم يتخذ قرارا في صالحها •

ـــ وجــاء الاعتـــداء الثلاثي وقضى التكتيك الحربي المصري ان تنسحب قواتنا من سيناء مؤقتا ، فســـارعت القوات الاسرائيلية واحتلت شبه جزيرة سيناء ومنطقة شرم الشيخ بوجـــه خاص ، وعندما بدأ انسحاب القوى المعتدية رفضت اسرائيل الانســحاب الا بشروط أهمها :

١ ـــ مرابطة القوات الدولية في منطقة شرم الشيخ عقب انسحاب القوات الاسرائيلية مباشرة •

٢ ـــ أن تكفل القوات الدولية في منطقة شرم الشيخ حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة •

ورفض السكرتير العام هذه الشروط ، وذكر أن القوات الدولية لن تستعمل القوة لحل أية مسألة سياسية أو قانونية ولن تتعدى وظيفتها محاولة منع قوع الاعمال الحربية •

ـــ بعد مفاوضات طويلة أعلنت وزيرة خارجيـــة اسرائيل في اجتماع الجمعية العامة في أول مارس ١٩٥٧ ، انها قد تلقت مذكرة من وزير خارجية الولايات المتحدة يؤكد فيها أن الولايات المتحــدة تعتبر خليج العقبة ومضيق تيران من المياه الدولية • وهي لذلك •

تعلن عن عزم اسرائيل على الانسحاب من شرم الشـــيخ من قطاع غـــــزة ٠

ـــ الا ان الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية أعلن فى نهاية النقاش الذى دار فى الجمعية العامة ان التصريحات التى أدلى بهـا مندوب اسرائيل ، وبعض مندوبى الدول الاخرى بشأن انسحاب القوات الاسرائيلية المعتدية لايمكن أن يكون لها أى أثر على كامل حقوق مصر أو عـلى مشروعيـة هـذه الحقوق ، وانه يجب أن تطبق قرارات الجمعية العامة التى تطالب بانسحاب اسرائيل من غير قيد أو شرط ٠

وأخذت القوات الدولية أماكنها على الحدود بين اسرائيل ومصر ، كما تسلمت منطقة شرم الشيخ من جنود اسرائيل ، وفى ســـتار من القوات الدولية ٠ بدأت اسرائيل تستعمل خليج العقبة دون أى ســـند قانونى ٠

احـــداث ابريل ومايو :

وجاء شـــهر مايو ـ ولا نزال نعيش فى أيامه عند كتابة هـــذه الســـطور ـ ووصل الاستفزاز الاسرائيلى قمته ، وهـــددت دولة العصابات بالزحف الى دمشق ٠ وكانت قبل ذلك ببضعة أسابيع قامت بغارة يوم ٧ أبريل انتقاما لما أنزله بها الفدائيون من جهـــة الشمال ، ويبدو انها ظنت انها ستستطيع أن تكرر عدوانهـا دون ردع ٠ فبالغت فى التهديد وحشدت جيوشها على الحدود الى سوريا ابتداء من ١٩ أبريل ، ولكن صـــوت مصر بدأ ينطلق فقلب معايير القوى ، واخذت مصر فى الاسبوع الثالث من مايو الخطوات التالية التى تعد كل منها قذيفة أصابت قلب الصهاينة :

- أعلنت الجمهورية العربية المتحدة وقوفها بكل صرامة مـــع سوريا ٠
- زحف القوات المصرية الى سيناء ٠
- وانهت مصر وجود قوات الطوارىء الدولية على حدودها وحدود غـــزة ٠

- ووقف ابناء فلسطين على حدود غزة مواجهين لقوات الاعداء ٠

- وبينما كانت اسرائيل تترنح من هول هذه النكبات المتتالية ، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا باغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ، أمام البضائع الاستراتيجية المتجهة

الى اسرائيل حتى وان كانت على بواخر غير اسرائيلية ، وكان الجيش المصرى قد عسكر فى شرم الشيخ وبث الالغام فى مضيق تيران بحيث لاتعبر السفن الا بارشاد المصريين الذين يتحاشون بالسفن مكان هذه الالغام ٠

ــ وهذه الكلمات تكتب وقد انقسم العالم قسمين كبيرين ، تقف أمريكا على قمة القسم المناهض لمصر ، مؤيدة اسرائيل ماديا وأدبيا وقد دفعت اسطولها السادس ليستعرض عضلاته بالبحر الابيض المتوسط ، ووقفت معها بريطانيا العجوز تؤازر الباطل وتؤيد دولة العصابات ٠

أما القسم الآخر فيضم أغلب شعوب العالم ، وكان البيان السوفيتى صريحا وحاسما ، وقد جاء فيه (يجب ألا يخامر أى انسان الشك فى الحقيقة التالية ، ان كل من يغامر بشن عدوان فى الشرق الاوسط لن يواجه فقط القوى المتحدة للدول العربية بل سيواجه كذلك مقاومة صلبة من جانب الاتحاد السوفيتى والدول المحبة للسلام ، ان من وراء اشعال نار الصدام فى الشرق الاوسط ، ولكن حفنة من حكومة الاتحاد السوفيتى تؤمن بأن الشعوب ليست لها أى مصلحة احتكارات البترول الاستعمارية وصنائعها هى التى يهمها مثل هذا النزاع ، ولايمكن ن تهتم به غير قوى لامبريالية التى تسير اسرائيل فى ركابها » ٠

وأعلنت الصين والهند والباكستان وأفغانستان ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وكثير من دول أفريقا وآسيا تأييدها الشامل للجمهورية العربية المتحدة ٠

ــ أما الدول العربية فقد كان موقفها او موقف أكثرها رائعا ، انها لم تكتف بالتأييد بل قررت أن تخوض المعركة ضد العدو المشترك ، ووافقت مصر على افساح المجال لوحدات من العراق والجزائر والكويت لتنضم للقوات المصرية على الحدود ولتخوض

معركة الشرف ، وأعلنت حكومة السودان ان قواتها ستدخل المعركة مع القوات العربية · وقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر بانه يرحب بالقوات العربيه رمزا لوحدة النضـــال العربى · واقرر للحقيقـة والتاريخ اننى أرى منظر المواطنين وكله اصرار وكله حماسة يتبرع الناس بالدم والمـال ويســـعون للمعركة كأنما يســـعون الى شيء بهيج ·

وأعلن العمال العرب ان اشعال الحرب يحتم عليهم تحطيم القواعد العسكرية الاجنبية التى لاتزال فى الاقطار العربية ، وتدمير أنابيب البترول أو ايقافها عن العمل · وتعطيل المؤسسات الاستعمارية ·

وأعلن الرئيس جمـال عبد الناصر فى المؤتمر الصـــحفى الذى حضره عدد كبير من ممثلى صحافة العالم ووكالات الانباء ، ان مصر لن تتراجع · وأن المشكلة الرئيســية ليست خلف ســـحب قوات الطوارىء أو اغلاق خليج العقبة ، وانما المشكلة الحقيقية هى وجود اسرائيل ، واذا قامت بيننـــا وبين سرئيل حــرب فلن تكون حــربا محدودة وانما ستكون شاملة ·

وقوى الخير التى تتمثل فى المسلمين والعرب وابناء آسيا وأفريقيا تقف بالمرصــــــاد امام قوى العــــدوان الذى تمثله الصـــهيونية والاستعمار ·

أيها المسلم فى كل مكان ··

أمدد يدك لنا ، وأضمم قوتك الى صـفوفنا فى الجبهـــة وخارج الجبهــــة ، لنقـــوى بك ، ونردع قـــوى الشر حتى لاتقتحم ديار الاسلام · وتذكر قوله تعـــالى : « ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » ·

وقوله : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيـــا بالآخرة ، ومن يقاتل فى ســـبيل الله فيقتل أو يغلب فســوف نؤته أجرا عظيما » ·

صدق الله العظيم

والله أكبر والعزة للاسلام

الجهاد ـ ملحق مجلة منبر الاسلام
عدد يونيو ١٩٦٧

تمثال لعبـــد النـــاصر

بقلم : توفيق الحكيم

اعــذرنى ياجمـــال ٠ القلم يرتعش فى يدى ٠ ليس من عادتى الكتابة والالم يلجم العقل ويذهل الفكر ٠ لن استطيع الاطالة ٠ لقد دخل الحزن كل بيت تفجعا عليك لان كل بيت فيه قطعة منك ٠ لان كل فرد قد وضع من قلبه لبنـــة فى صرح بنائك ٠ فانت لم تكن بالزعيم المصنوع سلفا فى مصنع السياسة تربصـــا للفرص ٠ بل كنت بضعة من جوهر شعبك النفيس صاغها بيده فى دأب وحدب بعد طول معاناة وانتظار على مدى احقاب ٠ فان يفقدك اليوم يفقـد فيك نفسه وثمرة أمله ٠٠ لذلك كان هذا الرشد الذى طاش مـــن الرؤوس ساعة سماع نعيك ٠ انه ليس مجرد حب لشخصك ٠ انما هو الحرص على معنى يعيش به بلدك ٠ لقد جسد الشعب فيك صورة حريته ٠ لقد جعل منك حيا تمثال الحرية لنا ٠ فاسمح لنا وقـــد فارقتنا ان نقيم لك تمثالا عاليا فى ميدان التحرير ، ليشرف عـــلى الاجيال ويكون دائما رمز الآمال ٠ ومايتبغى ان تقيم هذا التمثال سلطة أو دولة ٠ لكنه الشعب نفسه ٠ من ماله القليل يقيمه ٠ وأنا من بين هذا الشعب اتقدم اليوم بما استطيع تقديمه ٠ هذه الخمسون من الجنيهات أسهم بها افتتاحا لقائمة الاكتتاب وما أرخص المـــال الى جانب فضلك ياجمال ، وخاصة ـ فى أعياد العلم ـ على الادباء والعلماء والمفكرين والفنانين ستبقى دائما فى ذاكرتنـــا وانت فى عليين ٠

الاهرام ١/١٠/١٩٧٠

يا شبـــــباب مصر هذا هو أحمد أبو الفتح

ياشباب مصر ٠٠٠ ياطلاب مصر :

حتى لاتنخـــدعوا ٠٠ وتزيف أمامكم الحقائق ، حتى لايتحـول العملاء الى أبطال ، والخونة الى وطنيين ، والذين باعـــوا انفســهم للشيطان الى مناضلين شرفاء ٠

الذين كانوا ومازالوا يسبحون في أموال المخابرات الامريكية الى مكافحين مجاهدين من أجل حرية واستقلال بلادهم حتى لايصبح الذين كانوا يمرحون فى عـــالم الملذات واللهو والخمر والنســـاء زاهدين متصوفين كانوا يصلون صباحا ومســـاء من أجل وطنهم الحائر ٠ نقدم اليوم رائدا من روادهم وبطلا من أبطالهم ٠ وفارســا من فرسانهم بمقاييسهم المتعارف عليها ، مقاييس العمالة والخيانة ٠ نقدم أحمد أبو الفتح المذيع اللامع فى اذاعة مصر الحرة !! بسويسرا والصحفى الشهير فى صحافة اسرائيل والصهاينة صاحب جريدة المصرى سابقا ٠ وأحد أصحاب مؤسسة الاخبار ودار الهلال حاليا ٠ وأيضا الاهرام !!

أحمد أبو الفتح ياطلاب مصر كان صاحب جريدة المصرى الناطقة باسم حزب الوفد وحزب الوفد كان حـــزب الاغلبية الذى ينادى بالاستقلال ٠ وتمتد قواعده بين جماهير الفلاحين فى ربوع مصر ٠ وكان يفترض فيه انه يمثلهم ٠ ويجسد مطالبهم وأمانيهم ٠

لكن ماذا حدث بعد الثورة ٠٠ تنكر حزب الوفد (حزب أبو الفتح) الى قواعده العريضة من الفلاحين ، رافضـــا الاصـــلاح الزراعى ٠ ورافضا تحديد الملكية للذين يملكون عشرات الالوف من الافدنة كى يستفيد منها ملايين المعدمين البسطاء من الفلاحين ، قواعـد الحزب وجماهيره التى كانت تمنحه الثقة ، وتدفعه للنضال وتقف بجانبه لكى يصمد أمام السراى والاحتلال ٠

دراسات سياسية :

- التلمود ــ شريعة بنى اسرائيل اعداد : محمد صبري
- ٦ أكتوبر فى الميزان العسكرى : تأليف الفريق صلاح الدين الحديدى
- ثورة الصومال ارض البخور : تأليف مجدى نصيف والعطور .

دراسات ادبية :

- لغتنا الجميلة . تأليف : فاروق شوشة

من أعمال بيرم التونسى

ياعرب ، على باب الجامع ، شمس الاصيل ، ازهار واشواك .

من أعمال عبد الرحمن الابنودى :

انا والناس ، احمد اسماعيل ، الفصول

أسماء لامعة مفيد فوزى

الوعاء والاجابة فؤاد على رضا

مطابع مؤسسة
روزاليوسف

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٩٨ / ١٩٧٥



روى لى أحد الدبلوماسيين العرب ، أن عبد الناصر قال لبومدين أثناء مؤتمر القمة العربى الذى عقد بالقاهرة فى شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ والذى دعى اليه لوقف المذبحة التى كانت تجرى فى الاردن ضد الفدائيين الفلسطينيين .. قال ناصر لبومدين وقبل أن يعاجله الموت بأيام قليلة :

« أن أمريكا لن تغفر لى وستعمل على اذلالى حيا وميتا » .

والذى يتابع الحملة التى شنها اليمين ضد عبد الناصر يدرك أنه كان يتنبأ بما سيحدث . ولكنى أعتقد أن خياله ـ رحمه الله ـ لم يكن ليجنح الى تصور أن يقوم بعض المصريون بهذه المهمة نيابة عن أمريكا .



مطابع
مؤسسة